الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف –المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ
الرقم التسلسلي: ...../2018
رقم التسجيل :.....

الصراع الموحدي النصراني في الأندلس

(541هـ-609هـ/1146م-1212م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في :

شعبة : تاريخ تخصص: تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ:
– بوقرة ربح – عبد العزيز شاكي

السنة الجامعية: 2017–2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقديـر:

الحمد لله ثناؤه الجميل بلاؤه الجزيل عطاؤه نحمده على ما أبلغ من النعمة أظهر من المنة ويسر من العسر وقرب من النجاح وقدر من الفلاح نحمده على الآلاء ونشكره على النعم ونستعين به من الشدة والرخاء .

الحمد لله العلي العظيم الجدير بالشكر الذي وفقني ومنحني القوة والشجاعة لإنجاز هذا البحث المتواضع .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أتقدم بالشكر إلى من أحمل اسمه بكل اعتزاز وافتخار أبي العزيز وإلى من حملتني وهنا

وأتقدم بالشكر الخاص إلى اللجنة العلمية التي سهرت على مراجعة وتقصي جوانب هذه المذكرة كما أوجه شكري إلى جميع أساتذتي بقسم التاريخ في جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

وفي الختام أشكر زملائي وزميلاتي على دعمهم لي وأشكر طاقم مكتبة النجاح وبالأخص بوقرة عبد الكريم وكل من ساعدني في عملي هذا إما من قريب أو من بعيد .

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ " صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلى بطاعتك

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك يا الله جل جلالك.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

أهدي ثمرة جهدي إلى:

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة . . . ونصح الأمة . . نبي الرحمة ونور الهدى

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار . . إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من احمل اسمه بكل افتخار . . أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد والى الأبد

"والدي العزيز" بوقرة محمد"

إلى ملاكي في الحياة . . إلى معنى الحب والى معنى الحنان والتفاني . . إلى بسمة الحياة إلى من دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

إلى روح من كانت ينبوع الفياض بحبها وبحكمتها وبسداد رأيها لي أن تكون حاضرة لترى عيناها ثمرة جهدها

"أمي الحبيبة" بوقرة زليخة"

إلى كل العائلة الكريمة "أخواني وأخواتي" ياسين وزهرة ويونس" ولا أنسى ابنة عمي بوقرة سعاد

وأهدي هذا العمل إلى كل من قريب وبعيد "

ابح

مقدمة

عاش العالم الإسلامي العديد من الأحداث المختلفة، بحيث تطورت قبيل قيام دولة الموحدين، فقامت في المشرق إمارة فارس وأرمينية على أنقاض دولة الفاطميين في القاهرة في حين آلت الخلافة العباسية ببغداد إلى حالة من الضعف وفي هذا الوقت غزا النصارى بلاد الأندلس حتى بلغوا أقصى الجنوب، وفي أثناء هذه الظروف قامت دولة الموحدين في المغرب خلال القرن السادس هجري على أساس دعوة دينية خالصة تقتضي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتستهدف إقامة خلافة إسلامية تعود بالمسلمين إلى العصر الذهبي وهو عصر الخلفاء الراشدين ومؤسس هذه الدعوة ابن تومرت الملقب بالمهدي حيث جمع له أتباعا في كل مكان من أجل استمرار دعوته، إلا أنه توفي ليواصل تلميذه عبد المؤمن ابن علي في مكانه فتابع دعوته ونظمها ليصبح بذلك أميرا على الدولة الموحدية فدخل في صراع مع دولة المرابطين إلى أن تمكن من بسط سيطرته على المغرب الأقصى ودخول مراكش عاصمة المرابطين.

بعد هذا النجاح توجهت أنظار الموحدين إلى الاهتمام بأمور الأندلس لضم ما بقي منها إلى دولتهم وتنظيم شؤونها فانطلقت القوات الموحدية اتجاهها، إلا أنه حدث ما لم يكن في الحسبان أو 'يتوقع وهو ظهور عدة حركات انفصالية في البلاد الأندلسية فكان أكبر خطر قد واجهه الموحدون هو ظهور الممالك النصرانية في هذه البلاد فهؤلاء النصارى يسعون إلى التوسع على حساب المسلمين وهذا ما لم يقبله الموحدون وقاموا بردة فعل تمثلت في مواجهة هؤلاء النصارى والوقوف في وجههم وهذا ما سيكون موضوع دراستنا التي جاءت **بعنوان الصراع الموحدي النصراني في الأندلس (541هـ-609هـ/1146م-1212م).**

الدراسات السابقة:

حسب ما اطلعت عليه من دراسات سابقة حول موضوع بحثي أخص بالذكر وبدرجة أولى كتاب "جهاد الموحدين في بلاد الأندلس" لمؤلفه "معمر الهادي محمد القرقوطي" الذي أفادني بصفة جيدة في هذا الموضوع بالإضافة إلى كتاب "أمبيروسيوهويثي ميراندا" بعنوان "التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية" الذي أفادني هو الآخر في بحثي وكتاب "علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس "لمؤلفه هشام أبو رميلة" يحتوي هذا الكتاب على معلومات هامة، حول علاقات الموحدين السياسية والاجتماعية والحضارية بالممالك النصرانية، بحيث أفادنا لاهتمامه بالغزوات والمعارك التي حدثت بين الموحدين والممالك النصرانية.

أسباب اختيار الموضوع:

أما وعن أسباب أخذ وقبول دراسة هذا الموضوع تعود إلى:

- محاولة الكشف عن طبيعة الصراع الموحدي ضد النصارى في الأندلس
- والاهتمام بمعرفة أوضاع بلاد الأندلس قبيل وأثناء الصراع وأهم ما ترتب عنه من آثار سواء كانت إيجابية أو سلبية على دولة الموحدين أولا وبدرجة ثانية بلاد الأندلس
- كشف النقاب عن تفاصيل الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس أيام الموحدين

إشكالية الدراسة:

سعينا في هذه الدراسة وبذلنا المجهود للإجابة عن الإشكالية التالية:

إلى أي مدى استطاع الموحدون الوقوف في وجه الأطماع النصرانية؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات:

1. ما هي الدوافع التي جعلت الموحدون يدخلون إلى الأندلس؟
2. ما تجليات الصراع الموحدي النصراني في الجغرافية الأندلسية؟
3. ما هي أهم الوقائع التي جرت لتغيير مسار الصراع من المناوشة إلى الانتصار؟
4. ما الذي حدث للموحدين لينتقلوا من زمن الانتصار إلى الهزيمة والانهيار؟

خطة البحث:

وللإجابة على الإشكالية السابقة، وباعتمادنا على المادة العلمية الموضوعة بين أيدينا قمنا بتقسيم بحثنا إلى ثلاثة فصول:

حيث تناولنا في **الفصل الأول** من هذه الدراسة "**الموحدون والجغرافيا الأندلسية**"، ويندرج تحته ثلاثة مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى معرفة أوضاع الأندلس قبيل دخول الموحدين فقمنا بتقديم حوصلة عامة عن حال الأندلس في نهاية دولة المرابطين وقبيل مجيء الموحدين، أما المبحث الثاني فتحدثنا عن فترة الدعوة وتأسيس دولة الموحدين، فقدمنا فكرة عامة عن قيام هذه الدولة وأهم المبادئ التي قامت عليها دعوة المهدي بن تومرت، ثم تولي الخليفة عبد المؤمن بن علي الحكم بعد وفاة المهدي، لنواصل الكلام في المبحث الثالث عن انتقال الموحدين إلى الأندلس والصراع مع ابن مردنيش فقمنا بعرض أهم العوامل التي دفعت الموحدين للتدخل في بلاد الأندلس وسيطرتهم على معظم مدنها، ثم تطرقنا لصراع الموحدين مع محمد بن مردنيش حليف النصارى الذي تعامل معهم من أجل تحقيق طموحاته.

أما **الفصل الثاني** فقد كان بعنوان: "**الصراع من المناوشة إلى الانتصار**" حيث يحتوي على ثلاثة مباحث: فخصصنا المبحث الأول للحديث عن القضاء على ابن مردنيش و وضّحنا ردة فعل الموحدين من هذا المتمرد، والقضاء عليه في معركة فحص الجلاب أما المبحث الثاني تناولنا فيه غزوة وبذة وشنترين، بعد قضاء الموحدين على فتنة ابن مردنيش توجه الخليفة أبي يعقوب يوسف إلى بلاد النصارى وقام بمجاهدتهم فقاد غزوتي وبذة وشنترين بنفسه وفي المبحث الثالث تناولنا حصار شلب أثناء حكم يعقوب المنصور.

أما **الفصل الثالث** تحدثنا فيه عن "**الانتقال من زمن الانتصار إلى الهزيمة والانهيار**" وتضمن أيضا ثلاثة مباحث: المبحث الأول بعنوان معركة الأرك التي تعتبر من أعظم المعارك التي انتصر فيها المسلمون في الأندلس على النصارى وفي المبحث الثاني تطرقنا إلى معركة حصن العقاب في عهد الخليفة محمد الناصر، التي كانت فاصل تحول

في مصير الوجود الإسلامي في الأندلس وبالنسبة للموحدين النهاية في حين المبحث الثالث فقد تم تخصيصه للحديث عن أسباب هذه الهزيمة وأهم نتائجها.

المنهج المتبع:

ومن أجل تقديم دراسة في حدود هذا البحث والتمكن من إنجازه بطريقة منهجية، اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي القائم على سرد الأحداث

ومن أجل تحليل بعض الوقائع والأحداث اعتمدنا على المنهج التحليلي.

نقد المصادر والمراجع:

اعتمدنا على باقة من المصادر والمراجع:

أولا : المصادر:

- **كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** "لعلي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي" ويتناول هذا الكتاب عموما تاريخ المغرب عموما وتاريخ المدينة فاس خصوصا، بداية من الدولة الإدريسية إلى سنة 726هـ، وبالتالي فقد استفدنا منه في دراسة شروق الدولة الموحدية ودخولها الأندلس وصراعها مع النصارى.

- **كتاب المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين** "لعبد المالك بن صاحب الصلاة" وحققه "عبد الهادي التازي"، حيث تكمن أهمية هذا الكتاب لكونه مصدر مهم للحوادث الموحدية ذلك أن صاحب هذا الكتاب قد عاصرها.

- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** "لعبد الواحد المراكشي" يعد مصدرا تاريخيا هاما لدولة الموحدين فهو يصف تاريخها وصف عيان ومشاهدة على شكل مختلف لم يشارك فيه أحد ممن كتبوا لتاريخ هذه الدولة.

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لمؤلفه "أبي العباس أحمد بن عذاري المراكشي" تحقيق إبراهيم الكتاني وآخرون القسم الخاص بالموحدين، وقد أفادنا هذا المصدر في معرفة أخبار الموحدين وما حققوه من نصر وتأييد في البلاد الأندلسية.

- **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية** لمؤلفه "أحمد بن خالد الناصري المعروف بالسلاوي، الجزء الثاني تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري وقد استفدنا من هذا المصدر في تتبعنا للأخبار المتعلقة بدولة الموحدين.

ثانيا المراجع:

- **جهاد الموحدين في الأندلس** لمؤلفه "معمر الهادي محمد القرقوطي"، حيث تناول هذا الكتاب جانب مهم من جوانب تاريخ الموحدين وهو جهادهم في الأندلس خلال القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجري منذ نشأة الموحدين وقيام دولتهم إلى غاية خروج الأندلس عن طاعتهم.

- **دولة الإسلام في الأندلس** لمؤلفه "محمد عبد الله عنان" وقد أفادنا هذا الكتاب في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى النهاية والسقوط، ويعتبر مهما جدا لتميزه بوفرة المعلومات والروايات واحتوائه على العديد من المخطوطات، وقد ساعدنا في الحصول على الكثير من المعلومات خاصة في الفصل الثالث من بحثنا بخصوص معركة الأرك وموقعة العقاب.

- **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** لمؤلفه "هشام أبو رميلة" وهو كتاب هام نظرا لتناوله معلومات كثيرة ومفيدة حول العلاقات بين الموحدين والنصارى وما جرى بينهم من غزوات ومعارك.

صعوبات الدراسة:

كالعادة هناك عوائق وصعوبات مختلفة تقف وتواجه كل باحث نذكر منها:

- كثرة المادة العلمية ما أدى إلى تشعب أفكارنا وصعوبة الإلمام بها.

- صعوبة الموازنة بين عملية البحث المتواصل حول هذا الموضوع والتقيد بزمن إكمال هذه الدراسة خلال مدة زمنية محددة، بالإضافة إلى كبر حجم هذا البحث وعدم التحكم في ضبطه.

- افتقادنا إلى النص الأندلسي النصراني.

– قصر الوقت الذي منعنا من البحث على مادة إضافية.

الشكر:

وفي الأخير أتقدم بالشكر إلى كل من مد يد العون وساعدني ولو بالقليـــل وأخـــص بالذكر أستاذي الفاضل"عبد العزيز شاكي" الذي لم يبخل علي بالمادة العلمية التي أفـــادتني كثيرا في موضوعي هذا، ومكتبة النجاح التي أطرت بحثي هذا.

الفصل الأول...

الموحدون والجغرافيا الأندلسية.

المبحث الأول: أوضاع الأندلس قبيل دخول الموحدين..

المبحث الثاني: فترة الدعوة وتأسيس دولة الموحدين..

المبحث الثالث: انتقال الموحدين إلى الأندلس والصراع مع ابن مردنيش..

المبحث الأول: أوضاع الأندلس قبيل دخول الموحدين

مرت شبه جزيرة الأندلس قبيل مجيء الموحدين بفترات تاريخية كانت حرجة وصعبة على سكانها المسلمين، ففي هذا الوقت أخذت تضعف دولة المرابطين، حيث يصف لنا عبد الواحد المراكشي حال الأندلس في نهاية دولة المرابطين بقوله: " فأما أحوال جزيرة الأندلس فإنه لما كان آخر دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف، اختلت أحوالها اختلالا مفرطا، أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم، وميلهم إلى الدعة، وإيثارهم الراحة وطاعتهم النساء، فهانوا على أهل الجزيرة، وقلوا في أعينهم واجترأ عليهم العدو، واستولى النصارى على كثير من الثغور المجاورة"[1].

ومن العوامل التي ساهمت في اختلالها، قيام ابن تومرت بالسوس واشتغال علي بن يوسف به عن مراعاة أحوال الجزيرة و شاهد أعيان بلاد تلك الجزيرة من ضعف أحوال المرابطين أخرجوا من كان عندهم من الولاة واستبد كل منهم بضبط بلده لتعيش الأندلس بذلك عصر ملوك طوائف ثان[2]، وفي هذه الفترة أيضا استقر المرابطون في الأندلس كسادة و عاملوا البلاد كبلاد مفتوحة، مما جعل الأندلسيين ينفرون من المرابطون[3].

والحقيقة أن الذي عجل بسقوط المرابطين هو اضطراب الأمور في الأندلس خاصة بعد استدعاء الأمير تاشفين بن علي إلى المغرب وسحب عدد كبير من قوات المرابطين معه للمساعدة في مجابهة الموحدين فازداد تكالب النصارى وهجومهم وتوالت هزائم المرابطين لإنقطاع الإمدادات من المغرب بسبب اندلاع حركة المهدي فهانوا في نظر أهل

---

(1)– عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بالجمهورية العربية المتحدة، (د.ت)، ص 277.

(2)– المصدر نفسه: ص ص 277 _ 278.

(3)– روجي لي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تر: أمين الطيب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1982م، ص 65.

الأندلس[1] يقول صاحب الحلل الموشية: ((وكان أعظم ما تأيد به عبد المؤمن على المرابطين قيام أهل الأندلس عليهم لكونهم أخلوها من حماتها وأسلحتها))[2]، وسبب آخر عجل في اضطراب هذه الدولة هو اختلال الإدارة بوفاة الأمير علي بن يوسف وتولية ابنه الأمير تاشفين ففي هذه الفترة القصيرة لم تكن هناك قيادة موحدة، مما تسبب في عدم احترام هذه الأوامر والعمل بها[3]،والفساد الأكبر على المرابطين، نسخ الأمر بأمر غيره فكانوا يكتبون اليوم شيئا،وغدا ينسخونه بغيره، فيسخر منهم جنودهم ورعاياهم[4]، فكثرت الضرائب على الرعايا من العدوتين، ولم تكن الضرائب وحدها السبب في الثورة، فالوسائل التي اتبعت في جمعها كانت سببا في تذمر الناس وثورتهم[5]،في الأندلس، أهمها ثورة أحمد بن الحسين بن قسي أبو القاسم أول الثائرين بالأندلس، وهو رومي الأصل من بادية شلب[6]، ثار بغرب الأندلس ضد المرابطين سنة 538ه وسمي أتباعه بالمريدين، فأصبحت ثورته تعرف بثورة المريدين وقد أرسل ابن قسي رسالة إلى عبد المؤمن متقربا فيها إليه ولقب نفسه بالمهدي فأنكر عبد المؤمن عليه ذلك[7]، ومنها هاجر إلى الموحدين واعتذر عما سلف منه في ربيع الأخر سنة أربعين ثم انصرف في المحرم سنة 541ه صحبة الجيش الذي افتتح جزيرة طريف ثم الجزيرة الخضراء[8].

---

(1)– عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510ه: 546ه / 1116م : 1151م، ط 1، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408ه/ 1988م، ص 34.

(2)– مؤلف مجهول الاسم: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399ه/ 1979م، ص 132.

(3)– عصمت عبد اللطيف: المرجع السابق، ص 34.

(4)– مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 132.

(5)– عصمت عبد اللطيف: المرجع السابق، ص 45.

(6)– ابن الآبار: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط 1، 1963م، دار المعارف، القاهرة، 1919م، ج 2، ص 197.

(7)– معمر الهادي محمد القرقوطي: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس (541 _ 629 / 1146 _ 1233) ، دار هومة الجزائر، 2005، ص 73.

(8)– ابن الآبار: المصدر السابق،ج2، ص 199.

وقامت ثورة في ثغر المرية استطاع خلالها الثوار طرد الجيش المرابطي، فأخرجوا من كان عندهم أيضا من المرابطين واختلفوا فيمن يقدمونه على أنفسهم وبعد هذا الخلاف وقع اختيارهم على القائد أبا عبد الله بن ميمون ولم يكن منهم، إنما هو من أهل مدينة دانية فرفض وقال: إنما وظيفتي البحر وبه عرفت فكل عدو جاءكم من جهة البحر فأنا لكم بـــه فقدموا على أنفسكم من شئتم غيري[1]، فقدموا عبد الله بن محمد الرميمي وظل حتى هاجم النصارى المرية وانتزعوها وفعلوا بأهلها ما فعلوا فر ابن الرميمي إلـــى فـــاس وعـــاش بهاولم يبق تحت حكم المرابطين سوى " غرناطة " وإشـــبيلية"[2]،وهنـــا اتجهـــت أنظـــار الأندلسيين نحو المغرب الأقصى، حيث اشتد ساعد الخليفة عبد المؤمن بن علي ســـلطان الموحدين وقضى على المرابطين فتوافد عليه أعيان الأندلس طالبين منه المساعدة[3].

هبت ريح الموحدين، أي عبد المؤمن بن علي وبنيه وأجازوا البحر إلـــى الأنـــدلس وملكوا أكثر بلاد الأندلس[4]. قاموا كذلك بالاستيلاء على " شريش " فـــي مطلـــع 541ه لتسقط إشبيلية في يد الموحدين بعد بضعة أشهر وتلتها " مالقة " وكان ابن غانيـــة [5] قـــد يئس من إنقاذ ما تبقى من مدن الأندلس التي كان المرابطون يسيطرون عليهـــا وكـــادت قرطبة تقع في قبضة النصارى إلى حين تنازل " بنو غانية " عنها و " بياسة" سنة 543ه /

---

[1]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 279.

[2]– المصدر نفسه: ص ص 279 _ 280.

[3]– محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص 78.

[4]– أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت1408ه/ 1988م المجلد الأول، ص 442.

[5]– ابن غانية: جاءوا إلى بلاد المغرب بغية تحقيق أهداف لهم، فقد جاءوا من جزر شرق الأندلس، لتحطيم دولة الموحدين، وللثأر من المصامدة لما ارتكبوه في حق صنهاجة، كما كانو يطمحون إلى تأسيس دولة تعيد أمجاد المرابطين وتنشر تراثها. ينظر: مراجع عقيلة الغناى، سقوط دولة الموحدين، ط1، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا 1395ه/1975م ص 223.

1148م[1] ليتم بعد ذلك فتح مدينة قرطبة وملكها الموحدون ثم دخلت سنة 544ه، فيها كذلك ملك الموحدون مدينة مليانة[2]، وبقي هناك مرتبا ومصلحا لأحوال الجزيرة ثم عاد إلى مراكش بعد أن ترك جنودا من المصامدة والعرب وكان ذلك سنة 545ه/1151م [3].

مما سبق نستنتج أن ثورة الأندلس تولد عنها زوال المرابطين والتمهيد لاستقبال دخول الموحدين والإحلال محلهم.

المبحث الثاني: فترة الدعوة وتأسيس دولة الموحدين

تعددت الأسباب والعوامل التي ساهمت في إضعاف دولة المرابطين في المغرب والأندلس ولعل أهمها تمثل في تخاذل المرابطين أنفسهم وتواكلهم وطاعتهم للنساء بالإضافة إلى بروز الدولة الموحدية في المغرب كانت انطلاقتها ذات قاعدة دينية يترأسها داعية ديني يحث على التجديد والتغيير ما أدى إلى إنهيار دولة المرابطين وظهور قوة جديدة تمثلت في الموحدين.

---

[1]– إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420 ه/ 2000م، ج 1، ص ص265 _ 266.

[2]– ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 191.

[3]– سكورة قصاري ونعيمة سوداني: عبد المؤمن بن علي ودوره في الدولة الموحدية (524ه–558ه)(1130م–1164م) مذكرة لنيل درجة الماستر في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف: محمد شافع بوعناني، جامعة البويرة، 2014–2015، ص 45.

قامت الدولة الموحدية على أساس دعوة دينية إصلاحية يغلب عليها طابع التجديد والجهاد والاتساع وهدفها تحقيق وحدة إسلامية شاملة[1]، يقودها الفقيه المهدي تومرت[2] وكان تاريخ ولادته قد أثار جدلا كبيرا بين المؤرخين القدامى والمحدثين وقد تراوحت تواريخ ولادته بين 471هـ/1078م، إلى غاية 491هـ/1098م[3] بينما رجح (michel abitbol) أن تكون ولادة المهدي بين سنتي 1097م و 1105 م.[4] بعد رجوعه من المشرق، كان فقيها ملما بالعلم والفتوى والتدريس آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر[5].

ثم انتقل إلى المهدية[6]، واتخذ أحد مساجدها مقرا يدرس به العلم مركزا على علم الأصول وهذا ما زعزع المدينة وأحدث فيها الاضطراب فطلب منه بعض الخائفين عليه

---

[1]– أحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م، ص 141.

[2]– بن تومرت: الشيخ الإمام الفقيه الزاهد، أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري الهرغي، المدعي أنه الإمام المعصوم المهدي، كان لهجا بعلم الكلام، حيث ألف عقيدة لقبها بالمرشدة فيها توحيد فحمل عليها أتباعه وسماهم الموحدين ينظر: الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي ت 748ه/1374م)، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ط 1، بيروت، لبنان، 1405ه/1984م، ج 19، ص ص 539 _ 541؛ أبو بكر علي الصنهاجي المكنّى بالبيذق : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوارقة، الرباط، 1971م، ص 05.

[3]– غير أن الموسوعة الإسلامية باللغة الانجليزية رجحت الولادة بين 471 هـ / 474 هـ . **J.F.P HOPKINS :the encyclopaedia of islam , vol 3 , p:958 .**

[4] – MICHEL ABITBOL : HISTOIRE DU MAROC , PERRIN , France , 2009 , P 73

[5]– جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448ه 1056م إلى 668ه 1269م "دراسة سياسة وحضارية"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (د.ت)، ص 95.

[6]– المهدية: مدينة صغيرة استحدثها المهدي القائم بالمغرب وسماها بهذا الاسم، وهي في نحر البحر وتبعد على مدينة القيروان 60 ميلا، كثيرة التجارة. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م ص 73.

المغادرة إلى المنستير فأقام بها مدة مع جماعة من المرابطين الزهاد[1]، وبعدها انتقل إلى تونس وأقام أياما في تدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك قصده طلبة العلم وأخذوا عنه الأصول، وقد قام باللوم على العلماء حينما هموا بدفن رجل دون أن يصلوا عليه لاعتقادهم بأنه كان يعتنق اليهودية في حين شهد بعضهم العكس على أنه كان يصلي فحملهم على الصلاة عليه وعرفهم بالسنة وبين لهم الكتاب العزيز، فقالوا له بعد أن عرفوا الحق جهلنا يا فقيه فكانوا يأخذون عنه العلم أياما عديدة[2]، ثم انتقل مع رفقائه إلى بجاية وهناك نزل بمسجد الريحانة فاتخذه كالعادة مدرسة لتدريس العلم، ويبدو أنه بدأت تميل إليه قلوب الناس بالمدينة، فصرفه الحاكم من مدينته متخذا طريقة النصح ولذلك خرج منها إلى مكان آخر يسمى رباط " ملالة"[3]. وهناك لقي عبد المؤمن بن علي[4].

حاجا مع عمه فأعجب بفعله وعزم للأخذ عنه فارتحل الإمام إلى المغرب وهو معه[5]، فقصد مسجدا يأوي إليه وصار يمشي في الأسواق ويغير المنكر ويكسر المزامير[6] فوصل ذلك لعلي بن يوسف فأمر بإحضاره وسأله عن فعله فأجابه بأنه رجل فقير وقد غيرت منكرا وأنت أولى بذلك لقدرتك عليه _ ووعظه، فلما سمع الأمير علي

---

(1)– عبد المجيد النجار : تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1415ه/1995م، ص 63.

(2)– البيذق: المصدر السابق، ص ص 11 _ 12.

(3)– عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت حياته وأراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1403ه/1983م، ص ص89 _ 91.

(4)– عبد المؤمن بن علي: ابن علوي، سلطان المغرب الذي يلقب بأمير المؤمنين، الكومي، القيسي، المغربي مولده بأعمال تلمسان وكان أبوه يصنع الفخار. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج 20، ص 366.

(5)– الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص 5.

(6)– جورج مارسية: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م، ص291.

كلامه أتى له بالفقهاء لمناظرته إلا أنه قد أبكتهم فأغلبهم ليس لهم علم بالأصول والجدل وقالوا هذا رجل خارجي فأمره الأمير بالخروج من المدينة فخرج إلى الجبانة وبنى خيمته بين القبور وجلس فيها وتوافد عليه الطلبة يقرءون عليه وكثرت تلاميذه وأعجبوا به وأحبوه، وأعلمهم بما يريد وأخذ يطعن في دولة المرابطين ويصفهم بالكفر والتجسيم وأخبرهم بأنه هو المهدي المنتظر[1] فبايعوه ألف وخمسمائة رجل[2]، تخوف علي بن يوسف على ملكه من المهدي وحركته وعزم على قمع هذه الحركة في بدايتها وأعد جيشا بقيادة _ والي السوس أبا بكر اللمتوني _ وسقطت جيوش المرابطين بالهزيمة أمام جيوش المهدي، ولم ييئس أمير المرابطين وواصل في حربه ضد أصحاب المهدي من كل جانب إلى أن سئمت جنوده الحرب، وملكهم الذعر والرعب وأكمل الموحدون انتصاراتهم حتى اقتربوا من أغمات، وقتلوا الكثير من أهلها، وتوجه المهدي إلى تينملل[3]، واتخذها مقرا له لحصانتها وحسن موضعها[4].

ولما كثر أتباعه وتكررت هزائمه للمرابطين، جهز جيشا يتكون من نحو أربعين ألفا من الفرسان، والغالب منهم الرجالة، وقدم عليهم الشيخ أبا محمد البشير أحد العشرة من أصحابه ولم يسافر هو معهم إذ كان قد أصابه مرض[5]، وحاصر جنده مراكش

---

(1)– المهدي: لقبه بذلك العشرة من أصحابه ساعة مبايعتهم له أول بيعة انعقدت له. ينظر: ابن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م ص 89.

(2)– ابن أبي الدينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، 1286م، ص ص107 _ 108.

(3)– تينملل: مدينة البيضاء كرمها الله وكانت على القديم معمورة وبنى فيها الخليفة جامع الإمام، وعليها سور حصين وهي أمنع حصن أو قلعة في بلاد المغرب لوعورة الطريق من هذه البلاد. ينظر: مؤلف مجهول (مراكش) الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب، نشر وتعليق: سعد عبد الحميد زغلول، دار الشؤون الثقافية والنشر العراق، 1986م، ص 208.

(4)– عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د.ت)، ص 265.

(5)– مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 114.

أربعين يوما ولكن جيوش المرابطين كانت أكثر عددا وقوة من جيوش الموحدين، لـــذلك هزم المرابطون الموحدون[1]، هزيمة ساحقة في معركة البحيرة، وبلغت أنباء الهزيمة ابن تومرت، كان أول من سأل عنه من أتباعه عبد المؤمن بن علي، فلما أخبروه ببقائه سالما إطمئن ابن تومرت لبقاء الدعوة واستمرارها[2]، وقيل أنه لما ازداد مرضه وأيقن بالموت دعا عبد المؤمن بن علي فأوصاه بما أحب، وأعطاه كتاب الجفر الذي صار إليه من قبـــل الإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه وأمره أن يخفي أمر موته أياما إذا مـــات حتـــى تجتمع كلمة الموحدين، فبكى عبد المؤمن لفراقه بكاء شديد[3].

وقد مات المهدي بن تومرت في سنة 524هـ/1130م وقد اتفـــق أغلـــب المؤرخين على السنة والشهر واختلفوا على اليوم [4].

المبحث الثالث: انتقال الموحدين إلى الأندلس والصراع مع ابن مردنيش

يعتبر عبد المؤمن الرجل الثاني في دولة الموحدين وهو المؤسس الفعلي لها بعـــدما كانت في طور الدعوة في عهد ابن تومرت، فقد تولى عبد المؤمن بن علي" بعد وفاة "ابن تومرت وبويع من الموحدين، وكانت بيعة عبد المؤمن يوم الخميس الرابع عشـــر لشـــهر رمضان من سنة أربع وعشرين وخمسمائة وهي البيعة الخاصة[5]، لكتم وفـــاة المهـــدي وبايعاه العشرة أصحابه لثناء المهدي عليه وتقديمه للصلاة، ثم كانت البيعة العامـــة يـــوم

---

[1]– عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص 266.

[2]– حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط 1، مكتبة الخانجي مصر، 1980م، ص 63.

[3]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص266.

[4]–البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص42؛ مجهول: الحلل الموشية، ص117؛ ابن أبي زرع: المصـــدر الســـابق ص180؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص53؛ الزركشي:المصدر السابق، ص07 .

ATALLAH DHINA : les états de l'occident musulman aux 13 , 14 et 15 siècles , office des publications universitaires , Alger , 1984 , p : 31

[5]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 186.

الجمعة 20 لشهر ربيع الأول[1]، بعدما أكمل الموحدين القضاء على المرابطين في شوال 541ه بمقتل أبي إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، اتجهت نظرة عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين إلى ضم ما بقي للمسلمين في الأندلس إلى دولته[2]، أرسل الموحدين أول جيش إلى الأندلس في عام 541ه/1147م والهدف من ذلك إزالة ما بقي للمرابطين من سلطان وكذلك من أجل، القضاء على الزعامات المحلية التي ظهرت في الأندلس في نهاية حكم المرابطين[3].

إن من أهم العوامل التي دفعت الموحدين لاحتلال الأندلس، تكمن في غاية واحدة تسعى لتحقيق وحدة إسلامية شاملة تحت راية خلافتهم، فبلاد الأندلس تعد المجال الطبيعي لتوسيع دولة الموحدين شمالا[4]، فعبرت جيوش الموحدين في شهر المحرم سنة 541ه/1146م، واستطاعوا الاستيلاء على طريف[5].

والجزيرة الخضراء[6]، من المرابطين وتمكنت الحامية المرابطية من الخروج سالمة،وأن تشق طريقها وسط الأعداء حيث وصلت إشبيلية[7]، لابد أن الإضطرابات التي

---

(1)– لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (القسم الثالث)، تح: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، دار البيضاء، 1961م، ص 271.

(2)– حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية، (د.م)، (د.ت) ، ص 437.

(3)– خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ط 1، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت، لبنان، 2000م.

(4)– هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط 1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 1404ه/ 1984م، ص 89.

(5)– طريف: جزيرة على البحر في أول المجاز المسمى بالزقاق ويقابل هذه الجزيرة في الضفة الثانية من البحر مرسى القصر المنسوب إلى مصمودة وعرض البحر بينهما 12 ميلا. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، م1 مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1466ه/2002م، ص 527.

(6)– الجزيرة الخضراء: في التقسيم الأندلسي الإداري كانت الجزيرة الخضراء كورة صغيرة تشتمل على مدن كثيرة، منها اسطبونة وجبل طارق وجزيرة طريف. ينظر: ابن الابار، المصدر السابق،ج2، ص 199.

(7)– عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 105.

التي عمت أنحاء الأندلس نتيجة ثورات الأندلسيين على المرابطين تعتبر من العوامل التي أدت بالموحدين إلى الإسراع في العبور إلى الأندلس واحتلاله، ضف إلى ذلك بعض الثوار الأندلسيين على المرابطين وإعلان ولائهم للموحدين مثل علي بن عيسى بن ميمون قائد الأسطول في مدينة فاس والثائر على المرابطين أعلن ولائه وطاعته لعبد المؤمن، وخطب بجامعها له سنة 540ه/1145م فكانت أول خطبة للموحدين في الأندلس[1].

وهكذا استطاع فرض السيطرة على معظم مدن غربي الأندلس بالإضافة إلى احتلال وسط الأندلس وفتح قرطبة وامتلاكها وهذا سنة 543ه/1148م، وفي نفس هذه السنة ملك عبد المؤمن مدينة جيان وخطب له بها ثم دخلت سنة 544، فيها ملك الموحدون مدينة مليانة[2]، وبعدها استولى الموحدون على مالقة، بقيت مدينة غرناطة آخر ما بقي للمرابطين في الأندلس، حاول يحي بن غانية أن يقنع ميمون بالدخول في طاعة الموحدين وأن يتنازل عن غرناطة إلا أنه فشل في إقناع ميمون فقد توفي، بقي ميمون بن بدر اللمتوني معتصما بغرناطة حتى سنة 551ه/1156م قرر أن يتنازل عنها للموحدين مقابل الحصول على الأمان[3]، قرر الموحدون الاستعداد لفتح المرية التي كانت في أيدي الفرنج الفرنج أيام الموحدين والمرابطين بالأندلس، فتجهزوا للقيام بحملة بقيادة أبو سعيد بن أمير المؤمنين فنزلوا المرية وحاصروها[4]، دام الحصار سبعة أشهر ثم نزل النصارى على الأمان، فدخل الموحدون المرية أواخر 552ه/1157م[5].

---

(1)– هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 90.

(2)– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 191.

(3)– هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص ص 100 _ 101.

(4)– أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية و الموحدية) تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، ساحة المسجد الحمدي، الدار البيضاء، 1418ه / 1997م ،ج 2 ص 122.

(5)– هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 103.

علاقة الموحدين مع ابن مردنيش[1]:

نشأت عدة مماليك مستقلة عن الدولة الموحدية منها ما جاء على أنقاض المرابطين ومنها من أراد الاستقلال عن الموحدين، كما فعل ابن مردنيش الذي تعامل مع النصارى وأعانهم من أجل تحقيق طموحاته.

خرج محمد بن سعد بن مردنيش من مدينة مرسية[2] بعسكره ومعه أصحابه النصارى منتهزا فرصة غياب أمير المؤمنين عبد المؤمن، وانشغاله بفتح إفريقية، فخشي والي جيان محمد علي الكومي لقاء ابن مردنيش فسلمه مدينة جيان[3]، فضن ابن مردنيش أن سائر البلاد يجد عندها ما وجد عند محمد بن علي الكومي، فوصل قرطبة ودمر زروعها إلا أنه وجد أبو زيد عبد الرحمان بن تيجيت، فدافعه مدافعة الفرسان الأبطال وصده[4]،سئم والي قرطبة بحصار ابن مردنيش فتشاور مع القاضي أخيل بن إدريس على

---

[1]– ابن مردنيش : محمد بن سعد بن مردنيش ثائر بالأندلس في أعقاب الدولة المرابطية واستعان بالنصارى ضد الموحدين منحه البابا لقب (صاحب الذكر الحميد) ويعرف عند نصار اسبانيا بالملك لوبو، أنكر بعض الباحثين نسبته العربية وأرجعوه إلى أصل اسباني. ذاكرين أن جده الأعلا مردنيش) محرف عن الاسم الاسباني مرتينيت توفي عام 567. ينظر: البيذق، المصدر السابق، هامش 171، ص80.

[2]– مرسية: مدينة بالأندلس وهي قاعدة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، تقع على نهر كبير ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة وفيها الفواكه الرخيصة وبها الشجر الكثير والأعناب وأصناف التمر، ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط 1، 1975م، مكتبة لبنان، بيروت، ص 539.

[3]– جيان: مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلا، أرضها خصبة كثيرة اللحوم والعسل بها ثلاثة ألاف قرية، وهي تقع في سفح الجبل. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 183.

[4]– ابن صاحب الصلاة (594 ه _ 1198م): المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس)، تح: عبد الهادي التازي ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1964م، ص ص65 _ 66.

صرف ابن مردنيش عن قرطبة، فكتب كتابا باسم سيداري بن وزير يدعو فيه ابن مردنيش على التوجه إلى اشبيلية والاستيلاء عليها[1].

فلما قرأ الكتاب ابن مردنيش أمر بالإقلاع والإسراع في حين بعث الموحدين جاسوسا إلى المحلة من اشبيلية وأعلم بإقلاع المحلة، فوصل ابن مردنيش بجمعه ونزل على مقربة من اشبيلية وقاتلها ببعض جنوده حتى وصل باب قرمونة، وأقام على اشبيلية ثلاثة أيام، فلما لم ير شيئا مما كان في الكتاب علم أنها خدعة وخسر[2].

أرسل ابن مردنيش في أوائل العام التالي جيشا بقيادة إبراهيم بن همشك[3] للاستيلاء على قرطبة، فنازل ابن همشك قرطبة ودمر زرعها وخرب أحوازها ثم تراجع ورتب كمينا في بلدة أطابة القفرة من أحواز قرطبة، فخرج والي قرطبة وسار بقواته يستطلع الأحوال فخرجت عليه كمائن ابن همشك وألحقت به الهزيمة وسقط قتيلا في الموقعة، فرجع الموحدون الذين نجوا من الموقعة إلى قرطبة وتحصنوا بداخلها[4]، سار ابن همشك بعد ذلك بقواته إلى مدينة قرمونة وهي حصن اشبيلية من الشمال الشرقي فهاجمها واستولى عليها ما عدا قصبتها بمعاونة أحد زعمائها، يدعى عبد الله شراحيل كان ذلك سنة 555ه/1160م[5]، حاول ابن همشك الاستيلاء على مدينة اشبيلية فواصل غزوها

---

(1)- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 67؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس _ العصر الثالث _ عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ، ط 2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1990م، ص 374.

(2)- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 68.

(3)- ابن همشك: كان صاحب جيان بالأندلس، عرف بالشجاعة، وإحدى أذنيه مقطوعة، فإذا رآه الأعداء في الحرب عرفوه وقالوا بالإسبانية همشك ومعناه مقطوع الأذن. ينظر: خير الدين الزركلي، قاموس تراجم (لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين): الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت 1085م، ج1، ص 29.

(4)- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 75؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب _ قسم الموحدين _ ، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م، ص 67.

(5)- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الاول)، ص 375.

دون فائدة لكنه ألحق بها أفدح الخسائر ثم بعث والي اشبيلية السيد أبو يعقوب يوسف يستنجد بوالده عبد المؤمن، وذكر له أن ابن همشك يلح في الفتنة والضرر ويستعين بإخوانه النصارى وبالمنافقين أصحابه الأخرون،واشبيلية مثل الحلقة من الفتن[1]، رد الخليفة عبد المؤمن على كتاب ابنه برسالتين الأولى أخبره فيها بانتصاره على أعراب بني سليم في إفريقية وخضوعهم له واعترافهم بالطاعة، ونيته في العبور إلى الأندلس[2]، أما الرسالة الثانية التي بعثها، فقد أمر أبناءه وولاته بالأندلس بناء مدينة حصينة وقاعدة حربية في جبل طارق تكون هذه المدينة منزلا للأمر عند إجازة العساكر المنصورة ومحلا تتقدم الرايات المظافرة والأعلام المنشورة إلى بلاد الروم، فعبر الخليفة البحر إلى الأندلس ونزل في جبل طارق استقبله ولداه أبو يعقوب وأبو يوسف وأعيان الأندلس جددت له البيعة، وأقام زهاء شهرين في طارق ثم عاد إلى مراكش[3].

أوصى عبد المؤمن قبل عودته ولديه وقواده،بمواصلة غزو ابن مردنيش وقتاله، فعين ابنه أبا يعقوب يوسف واليا على اشبيلية، وعين ابنه أبا سعيد عثمان واليا على غرناطة، ثم عين على قرطبة وأعمالها أبا حفص عمر أينتي، وترك في الأندلس جيشا كبيرا يتألف من الموحدين والأندلسيين، فجعل على قيادة الموحدين ابن الشرقي على الأندلسيين أحد قوادهم المشهورين يعرف بابن صناديد[4].

اتفق ابن همشك مع يهود غرناطة سرا بالاستيلاء على مدينة قرمونة مع حليفهم المعروف بابن دهري الفاسق ليفتح لهم أبواب المدينة، مشى في ليلة معينة يصلهم فيها إلى باب الربض، فوصل ابن همشك وكسروا القفل والباب، وتنادوا بالصياح ياللأصحاب

---

[1]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 77.

[2]– ليفي بروفنصال: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، الرسالة 21، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، رباط الفتح، 1941م، ج 10، ص 113.

[3]– هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 114.

[4]– هشام أبو رميلة: نفس المرجع، ص ص 114 _ 115.

فاقتحمها ابن همشك، بينما هرع الموحدون وتحصنوا بالقصبة، حاول ابن همشك الاستيلاء عليها لكنه فشل، فاستنجد بصهره ابن مردنيش لأخذ غرناطة[1].

استجاب ابن مردنيش لصهره ابن همشك فبعث ثلة من قواته مع قوة النصارى بقيادة ثلاثة من أمرائهم هم البارون دريجس والثاني أيرمانكو السابع والثالث شقيقه يسمى كويسران ووصال[2].

لبى الخليفة عبد المؤمن للموحدين المحصورين بقصبة غرناطة،فأمر ابنه أبا سعيد أن يتوجه لإنقاذ غرناطة فسار أبو سعيد أولا إلى مالقة ثم استدعى جيوش اشبيلية بقيادة عبد الله بن أبي حفص، وعسكرت الجيوش الموحدية في مكان يسمى مرج الرقاد، كذلك أسرع ابن مردنيش بقوات كبيرة من جيان ومرسية لمواجهة الموحدين، فنشبت موقعة بينهم، وحلت الهزيمة بالموحدين[3].

وصل الخليفة عبد المؤمن خبر هزيمة الموحدين في مرج الرقاد فبعث جيشا يتألف من عشرين ألف مقاتل وأسند قيادته إلى ابنه أبي يوسف يعقوب وجعل معه أبا يعقوب يوسف بن سليمان فنزل في الجزيرة الخضراء ثم سار إلى مالقة، فانضم له أبو سعيد عثمان بقواته ثم اتجه صوب غرناطة عن طريق وادي دلير وقرية همدان منزل وادي شمبل الواقع جنوبي غرناطة[4].

توجه ابن مردنيش وحلفائه النصارى لمساعدة صهره ابن همشك فعسكر فوق الجبل المتصل بقصبة غرناطة على الجهة الأخرى لنهر حدرة، أما صهره فبقي بقواته في القصبة الحمراء فوق جبل السبيكة معه نحو ثمانية ألاف فارس.

---

(1)– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص 124 _ 125؛ وابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ص74.

(2)– هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص 117.

(3)– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص 128 _ 129.

(4)– هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص ص 118 _ 119.

هاجم الموحدون ابن همشك في ضوء الفجر، وأعجلوهم عن ركوب خيلهم ونشـــبت بينهم الحرب حيث قتل قائد النصارى وعلق رأسه بباب القصر بقرطبة وتردى في الـــواد صهر ابن مردنيش، ودخل الموحدون غرناطة وسط النهار على أتم النصر والإظهار[1].

وأخيرا يمكن القول أنه بعد أن استقر الحكم للموحدين في بلاد المغـــرب، اتجهـــت أنظارهم نحو الأندلس وحمايتها من الأخطار التي تهددها، لتأتي مرحلة جديدة تزيد مـــن قوة الدولة الموحدية متمثلة في تحقيق النصر والتفوق.

[1]– ابن عذاري: المصدر السابق، ص ص 76 _ 77.

الفصل الثاني

الصراع من المناوشة إلى الانتصار

المبحث الأول: القضاء على ابن مردنيش

المبحث الثاني: غزوة وبذة وشنترين

المبحث الثالث: حصار شلب

أورث عبد المؤمن لأبنائه الحكم، وبهذا يكون قد خالف تعاليم ابن تومرت، حيث بويع أبو يعقوب بعد وفاة أبيه عبد المؤمن بن علي، وعمل يوسف بن عبد المؤمن خلال فترة حكمه على بسط نفوذه على بقية المناطق الموجودة في الأندلس، تحت سيطرة الموحدين حيث واجه ابن مردنيش.

المبحث الأول: القضاء على ابن مردنيش

لم يتدخل الموحدون بشكل فعال في الأندلس إلا ابتداءً من عهد الخليفة يوسف، فبعد موت عبد المؤمن بن علي خلفه ابنه يوسف، وفي سنة 566هـ وصلته الحشود بعد استدعائهم وجاز بهم إلى الأندلس حيث بقي هناك إلى سنة 571هـ، وكانت الأندلس في ذلك الوقت تعاني من الضغط على الجبهتين: جبهة الغرب من طرف البرتغاليين وجبهة الشرق من طرف ابن مردنيش الذي كان يهدد أحيانا قرطبة واشبيلية. [1]

وفي هذه الفترة نشبت الشحناء والعداوة والبغضاء، بين ابن همشك وصهره ابن مردنيش، نتيجة الأفعال التي قام بها ابن مردنيش ضد المقربين من أصحابه فانقطع ابن همشك عن مواصلته وزيارته أزمانا، وفي هذه المدة [2]، كانت تحته بنت ابن همشك فطلقها[3]، فاشتدت بينهما الخصومة والفتنة، ونشبت بينهما الحروب، وهلك فيها الكثير من الرعايا، فلم يستطيع ابن همشك المقاومة والصمود في وجه ابن مردنيش، فخدم الموحدين وأعلن ولاءه لهم ولاذ بهم [4] اغتنم الموحدون فرصة توحيد ابن همشك وإعلانه الطاعة فأرسل الخليفة أبو يعقوب يوسف رسالة إلى "ابن مردنيش يطلب منه الدخول في الطاعة".

---

[1]– أحمد العزاوي: رسائل موحدية– مجموعة جديدة– ، (القسم الاول)، ط1، منشورات كلية الاداب و العلوم الإنسانية القنيطرة، 1416ه/ 1995م، ج1، ص129.

[2]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص302.

[3]– ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص260.

[4]– ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م، ج1 ص302.

ومع ذلك أخذ يواصل ابن مردنيش غزو البلاد التابعة لابن همشك مدة سنة كاملة، إلا أن هذا الأخير استطاع الرد عليه.

قام ابن مردنيش بإعطاء النصارى حصنين، لكي يواصلوا غزو بلاد ابن همشك وقتاله وهما: حصنا بلج والكرس لم يستطع ابن همشك التصدي لابن مردنيش وحلفائه النصارى ولما استبطأ قدوم الموحدين لنجدته، بعث وزيره أبا جعفر إلى مراكش يطلب من الموحدين الإسراع بالقدوم. [1]

معركة فحص الجلاب 560ه/1165م

عند وصول الموحدون إلى اشبيلية، تم عقد مجلس حربي تقرر من خلاله مهاجمة ابن مردنيش، حيث غادرت القوات الموحدية اشبيلية في فاتح ذي القعدة 560ه(8 سبتمبر 1165م)، فكان هجومهم الأول على أندوجر[2]، التي كانت تشكل خطرا على قرطبة وقد نجح الموحدون في إخضاعهم في نفس يوم حصارهم لها، ثم بعد ذلك توجه الموحدون ناحية باسطة التي تمكنوا بعد مهاجمتها الحصول على المؤونة والغنائم، وأثناء هذه الفترة أغاروا على مناطق غليرة وقرباقة وبسطة وجبال شغورة، وبعد انضمام القوات القادمة من غرناطة لهم نحو قلية التي استسلمت دون مقاومة [3].

وفي تلك الأثناء استوضح أن ابن مردنيش وأصحابه النصارى قد خرجوا من مرسية إلى لورقة [4].

---

[1]– هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص129.

[2]– أندوجر: حصن بالأندلس بقرب قرطبة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397ه / 1977م، ج1، ص 664.

[3]– أمبيروسيو هويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تر: عبد الواحد اكمير، منشورات الزمن الدار البيضاء، 2004م، ص215.

[4]– لورقة: تقع بالأندلس من بلاد تدمير، إحدى المعاقل السبعة، وهي كثيرة الزروع والضرع والخمر، يوجد بها فحص الفندون، تحيط بها بعض القرى كقرية تازة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ص 512– 513.

خائفا عليها فغير الموحدون وجهتهم ونزلوا في السهل المعروف بالفنـــدون[1] وقــد اعتقد سكان المناطق الشرقية من أتباع ابن مردنيش في البداية أن الموحدين توجهوا نحو قرطاجنة لكن بعد ذلك اتضح لهم أنهم تقدموا نحو مرسية، ومع غروب شمس يوم الجمعة 7 ذي الحجة 560ه / 15 أكتوبر 1165م وصل الموحدون إلى سهل مرسية [2] وبالضبط إلى المكان المعروف بفحص الجلاب، والذي يقع على بعد عشرة أميـــال مـــن المدينـــة، فوجدوا ابن مردنيش معسكرا وتم اللقاء بالموضع المـــذكور، فتيســـر الموحـــدون للقـــاء وتعاهدوا على الثبات والصبر، فهاجم ابن مردنيش بعسكره بما فيهم أصحابه النصـــارى أولا ثلاث دفعات "أولى في العرب واثنين في الموحدين، فانجد الله المـــؤمنين فـــي ذلـــك وثبتهم [3] وتم النصر للموحدين في هذه المعركة التي انتهت بهزيمة ابن مردنيش.

ذكر البيدق عن هذا بقوله :"فهزموه في الجلاب وقتلوا من كان معه حتى لم يبق له إلا خيل قليلة، ومات فيها شيوخ العرب السبعة" [4]، فما هي إلا أيامـــا قليلـــة ووصـــلت البشرى بهزيمة ابن مردنيش، وعيّد السيدان أبو حفص وأبو سعيد بالمحلة المؤيدة بظاهر مرسية عيد الأضحى [5]، والأصل أن الأحوال لم تكن حسنة فـــي الأوســـاط المســـيحية بقشتالة وليون حيث كان الأمراء يتنافسون على الرياسة، ولهذا لم يكن نشـــاط الإمـــارتين يتجاوز إنجاد ابن مردنيش بالمؤن والجيوش [6]، وبعد الهزيمة التي تلقاها ابن مردنيش هو

---

(1)– الفندون: يحاذي هذا السهل الخصب نهر "سانكرونيرا" ويمتد على مسافة 25 ميلا بالمنطقة التي تفصل بين لورقة وقرطاجة. ينظر: أمبيروسيو هويثي ميراندا، المرجع السابق، هامش 25، ص 215.

(2)– أحمد العزاوي: المرجع السابق، الرسالة 12، ص ص91–92.

(3)– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص 198–199.

(4)– البيذق: المصدر السابق، ص88.

(5)– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص211.

(6)– إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص270.

هو وأصحابه فرَّ إلى مرسية [1] ونازله الموحدون بها [2] وبينما كان الموحدون يحاصرون مرسية، كان الفونس الثاني ملك أراغوان [3] قد نظم جيشا لمحاربة بلنسية مستغلا الأوضاع التي كان عليها ابن مردنيش فاستولى على عدد من الحصون، ومما زاد في إرباك وخوف ابن مردنيش هو خبر جواز الخليفة أبو يعقوب يوسف في مئة ألف مقاتل من الموحدين والعرب سنة 566ه. [4]

تمكن الموحدون من الاستيلاء على لورقة وبسطة [5]، وتوفي ابن مردنيش وهو محاصر بمرسية في رجب سنة 567ه [6]، وتولى الأمر بعده ولده أبو القمر هلال بن محمد بن سعد، وبادر بالتخلي عن مرسية وإعلان طاعته لأبي يعقوب، وقد تم تتويج هذا

---

[1]– مرسية: مدينة بالأندلس، مبنية على أرض مستوية على النهر الأبيض، فيها خيرات كثيرة ولها حصون وقلاع، بينها وبين قرطبة عشر مراحل. ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص539.

[2]– عبد الرحمان ابن خلدون: ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، 2000م، ج6، ص 320.

[3]– أراغوان: اسم بلاد غرسيه بن شانجة، تشتمل على بلاد ومنازل وأعمال. الحميري: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، لبنان، 1988م، ص45.

[4]– محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزاوي ومحمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج1، ص466.

[5]– بسطة: مدينة بالأندلس، بالقرب من وادي أش، حسنة الموضع عامرة حصينة، ذات أسواق وبها تجارات، وبينها وبين جيان ثلاث مراحل. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص45.

[6]– ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص131؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص211؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص322؛ السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص712؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2 ص68. هناك اختلاف بين المؤرخون في أسباب وفاة ابن مردنيش بعضهم يرى أنه عند ما بلغته أخبار جواز الخليفة أب يعقوب يوسف، خاف وحمل على قلبه فمرض مرضا شديدا ومات. وبعضهم يرى أن أمه سقته السم لأنه أساء إلى أهله وكبراء دولته فنصحته أمه وأغلظت عليه في القول وهددها فخافت من بطشه، فسقته السم ومات. محمد القرقوطي: المرجع السابق ، ص 140.

التوحيد والطاعة بزواج ابنه أبي عبد الله بن سعد بالخليفة أبي يعقوب يوسف، حيث أورثهم ذلك ملك البلاد الشرقية، وتم الزفاف في ربيع الأول سنة 570ه. [1]

هناك رواية تخبر بأن محمد بن مردنيش قد أوصى أبناءه بأن يسلموا الأمر للخليفة أبي يعقوب فقال لهم: "يا بني، إني أرى أمر هؤلاء القوم (يقصد الموحدون) قد انتشر، وأتباعهم قد كثروا ودخلت البلاد في طاعتهم، وإني أظن أنه لا طاقة لكم بمقاومتهم: فسلموا لهم الأمر اختيارا منكم...". [2]

المبحث الثاني: غزوة وبذة [3] 567ه وشنترين 580ه

بعد قضاء الموحدين على فتنة ابن مردنيش خرج أمير المؤمنين أبو يعقوب من إشبيلية قاصدا بلاد النصارى فنزل على مدينة عظيمة تسمى وبذة [4]، حيث أشار قادة وأعيان شرقي الأندلس على الخليفة بغزو هذه المدينة، فأخذ برأيهم وسار بجيشه في شهر شوال 567ه فاستولى خلال طريقه على حصن بلج بالأمان وسمح لحاميته النصرانية بالعودة إلى بلادهم. ثم عين أحد القادة على الحصن وأكمل سيره فاستولى أيضا على حصن الكرسي [5] الذي يقع فوق ربوة عالية يحيط بها الماء، عين الخليفة على الحصن قائدا آخر وواصل زحفه نحو وبذة [6]، فلما كان يوم السبت وصل إلى وبذة، فجهز عسكره وجرت حرب بين الموحدين والقشتاليون قبل اندلاع المعركة الرسمية أشبه ما

---

[1]– ابن الخطيب: أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، (الجزء الخاص بتاريخ إسبانيا الإسلامية)، تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، لبنان، 1956م. ص271؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق ج2، ص68.

[2]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص323.

[3]– ينظر: ملحق رقم 1، ص49.

[4]–عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص323.

[5]– هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص ص 244 –245.

[6]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص401–402؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث القسم الثاني)، ص75.

تكون معركة استعراضية [1]، وفي خلال ذلك وصل الخليفة بقواته إلى وبذة في يوم 17 من ذي القعدة، وأمر الموحدين والعرب من سائر القبائل بالتأهب للحرب وأمر الجميع بالسير، وبدأ الهجوم تحت قرع الطبول وصيحات التكبير، بين الموحدين والقشتاليين واستولى الموحدون على أرباض المدينة [2]

وقد عاد القشتاليون إلى داخل المدينة ليمنحوا بذلك الموحدون فرصة النزول في جناتها والكروم المتصلة بمدينتهم، ومنعوا النصارى عن شرب الماء من واديهم، وقطعوا عنهم حياتهم في ناديهم.

وفي عشية يوم الثلاثاء السابع عشر اجتمع الخليفة أبو يعقوب مع أشياخ الموحدين لوضع خطة محكمة تضمن النصر، وكان النصارى في هذا الوقت يحفرون خندقا حول مدينتهم، فلما أصبح الصباح كان الجميع مستعدا للقتال، وامتطى الخليفة فرسه والكتائب حوله، وصفها بن صاحب الصلاة بأنها " كالجبال إلا أنها سائرة! قد ملاء الملأ خيلا ورجلا وطبق الفضاء وعرًا وسهلاً، تحقق راياته أسنته" [3]، فهجم الموحدون على القشتاليين ونشبت معركة عنيفة بين الطرفين، ارتد فيها القشتاليون داخل بيوتهم وتحصنوا داخل القصبة ولم يبق منهم إلا الجبهة الغربية، التي قاتل فيها أبو العلاء بن عزون حتى عجز، وسار إلى أمير المؤمنين لطلب العون منه، فلم يرد عليه لاشتغاله مع الطلبة في المذاكرة. قام الموحدون بهدم كنيسة المدينة، وانتزاع نواقيسها وقتل كل من يحاول التصدي لهم من النصارى بهدف استردادها [4].

---

[1]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 403.

[2]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص ص 76–77.

[3]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص 404–405.

[4]– المصدر نفسه، ص ص 406–407؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني) ص77.

ويقول ابن صاحب الصلاة: "ودام القتال على انحلال وضعف وملال إلى بعد أذان الظهر، وارتفع، وما نفع الجيش الكثير عديده ولا الجمع، إذ كان في نحو مائة ألف بين فارس وراجل، وانصرف أمير المؤمنين، وانصرف الناس إلى أخبيتهم، وقد فهم الحال من فهمها" [1] وهكذا فشل هجوم الموحدين الأول على وبذة، ونتيجة هذا الفشل، اتجه الخليفة إلى حصار المدينة شهورا [2]، إلى أن اشتد عليهم الحصار وعطشوا فراسلوه في تسليم المدينة وأن يعطيهم الأمان على نفوسهم، فامتنع عن ذلك، غير أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن كما يقولون، فلما يئسوا مما عنده سمع لهم في بعض الليالي لغط عظيم وأصوات هائلة، وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج فارتووا وتقووا على المسلمين، فانصرف عنهم إلى إشبيلية، بعد أن هادنهم مدة سبع سنين. [3]

وعاثت جيوش الخليفة أبي يعقوب يوسف فسادا في أراضي قشتالة بينما كان الفونس ملك أراغون يهاجم ناحية بلنسية [4] ولم ينجح الموحدون في الاستيلاء على باجة [5] فانهزموا أمام سانشو البرتغالي.[6]

وفي سنة 571ه رجع الخليفة أبي يعقوب إلى مراكش، غير أن الأحوال في الأندلس قد ساءت من جديد، ففي سنة 572ه تمكن القشتاليون بمساعدة الفونس الثاني ملك أراغوان

---

[1]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص408.

[2]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص 78.

[3]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 324؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص105؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص 135.

[4]– بلنسية: من أهم قواعد شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجاية 16 يوما، وهي مدينة سهلية كثيرة التجارات. ينظر: الحميري، الروض العطار، ص97.

[5]– باجة: من أقدم مدن الأندلس، بنيت في أيام الأقاصرة، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ، ولها معاقل تتمتع بالحصانة. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص35.

[6]– إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص 270–271.

من الاستيلاء على قونكة [1] وأخذت ضربات القشتاليين والبرتغاليين والليونيين تتوالى على بلاد الأندلس. [2]

مما دفع بأبي يعقوب سنة 579ه بالجواز إلى الأندلس فزحف بجيوشه وقصد مدينة شنترين [3]، فحاصرها وأخذ يقطع ثمارها ويفسد زروعها ويشن الغارات على نواحيها [4] [4] وبذل جهده حتى ليلة الثاني والعشرين من ربيع الأول، فانتقل من موضع نزوله بجوفي شنترين إلى غربها، فجهل المسلمون السبب، ثم أمر ولده أبا إسحاق صاحب إشبيلية بالرحيل لمهاجمة أشبونة [5]، وشن الغارات عليها وأن يكون رحيله نهارا [6]، فأساء أبو إسحاق فهم أوامر الخليفة، وظن أنه أمره بالرحيل في جوف الليل [7].

يقول صاحب الروض القرطاس: "وصرخ الشيطان في محلة المسلمين أن أمير المؤمنين قد عزم على الرحيل في هذه الليلة فتحدث الناس بذلك وتأهبوا له، فرحل من الناس طائفة بالليل، فلما كان قرب الفجر، أقلع السيد أبو إسحاق وأقلع من كان يليه وتتابع الناس بالرحيل، فارتحلوا وأمير المؤمنين مقيم بمكانه لا علم عنده بذلك" [8]، حيث بقي في

---

[1]– قونكة: مدينة بالأندلس من أعمال شنتبرية، ينسب إليها أبو إسحاق القونكي. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق ج4، ص 415.

[2]– عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص714.

[3]– شنترين: وهي من قرى غليسية المشهورة التي تخرج القراقر، حيث الطول ثلاث عشرة درجة و العرض سبع وأربعون درجة وأربع و خمسون دقيقة وفي شرقيها لرمد وهي من فرض قنساله التي تخرج منها المراكب القراقر وتبقى بينه وبين البحر المحيط، قدر مرحلة. ينظر: ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1970م، ص ص 192– 193.

[4]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 330–331.

[5]– أشبونة: مدينة قديمة على سيف البحر تنكسر أمواجه في سورها، فهو رائق البنيان، ولها باب غربي قد عقدت عليه حنايا، فهي في ذاتها حسنة وممتدة على البحر. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص16.

[6]– السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 155.

[7]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق،(العصر الثالث، القسم الثاني)، ص125.

[8]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص214.

في جماعة يسيرة من حراسه وقواده، فلما بلغ الأمر سكان شنترين البرتغال هاجموا معسكر أبي يعقوب وساعدهم في ذلك سانشو ابن ملك البرتغال بجيش قوامه 15 ألف مقاتل، وفي صباح اليوم التالي وصل جيش من النصارى يبلغ 20 ألف مقاتل بقيادة أسقف شنت ياقب [1]، وهكذا نشبت الموقعة وهجم النصارى على معسكر الموحدين وقتلوا الحرس، ثم عبروا إلى خيمة الأمير فمزقوها، فقاتلهم بسيفه حتى قتل منهم ستة رجال وأخيرا تم طعنه طعنات بالسيف حتى سقط على الأرض وكانت وفاته يوم السبت الثامن عشر من ربيع الأخر من سنة 580ه قرب جزيرة الخضراء. [2]

المبحث الثالث: حصار شلب

تولى مقاليد حكم يوسف بن عبد المؤمن ابنه يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في سنة 580ه/1184م [3]، ولقب بالمنصور، وقد بلغت الدولة الموحدية في عهده الذي استمر ما يقرب من خمسة عشر عاما، أوج ازدهارها وتقدمها، وقد توزعت جهود المنصور الموحدي العسكرية في أكثر من ميدان [4]، حيث استغل ملك البرتغال دون بدرو بدرو بن الفونس هنريكيز (شانجة الأول) الذي تولى الأمور بعد وفاة والده انشغال الخليفة يعقوب بأحداث إفريقية والمغرب، التي شهدت ثورة بني غانية وبعض مؤامرات البيت الموحدي [5].

---

[1]– يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص ص 73-74.

[2]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص215؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 334؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ص136؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص156.

[3]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص216؛ أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، تح: محمد الفاطمي بن الحسين، دار منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ج2، ص555.

[4]– حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، ط1، مكتبة الخانجي مصر، 1980م، ص47.

[5]– محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص186.

كان النصارى قد قاموا في تلك الأثناء بعدة غزوات في الأندلس، حققوا فيها النصر تارة وانهزموا تارة أخرى [1]، وفي سنة 585ه توجه يعقوب المنصور إلى الأندلس قاصدا شنترين حيث شن الغارات على مدينة أشبونة وأنحائها، فقطع الثمار وقتل وأضرم النيران في القرى وحرق المزارع وخربها إلى أسوء الأحوال [2].

ويذكر المراكشي أنه لما كانت سنة 585ه قصد بيدرو بن الفونس هنريكيز ملك البرتغال مدينة شلب [3] من جزيرة الأندلس، فنزل عليها بعساكره، وأعانه من البحر الإفرنج بالبطس والشوانى: وكان قد وجه إليهم يستدعيهم إلى أن يعينوه، على أن يجعل لهم الأسلاب والغنائم وأن يحتفظ هو بالمدينة خاصة [4]، استطاع النصارى سنة 586ه دخول مدينة شلب والاستيلاء على باجة ويابورة [5]، وذلك لما علموا أن المنصور قد أبعد أبعد عنهم واشتغل بأمر إفريقية [6]، فقطع النصارى عن مدينة شلب موارد الماء، فاضطرت إلى الاستسلام وخضعت المدينة للملك سانشو دون علم الصليبيين، إلا أن ذلك لم ينجيها من مصيرها المروع، فقد نجا البعض من سكانها، وهلك الباقون بالقتل والسبي [7].

---

[1]– يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص78.

[2]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص218.

[3]– شلب: تقع على مقربة من شاطئ المحيط الأطلسي، غربي جنوب باجة ولها جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص342.

[4]–عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص356.

[5]– يابورة: مدينة بالأندلس، كبيرة وعامرة بالناس لها أسواق وقصبة ومسجد جامع، وهي أحسن البلاد بقعة وأكثرها فائدة بينها وبين بطليوس مرحلتان. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص 616.

[6]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص219.

[7]– يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص80.

أرسل السيد أبو يوسف بن أبي حفص صاحب إشبيلية إلى الخليفة يعقوب المنصور يعلمه بأخبار الاعتداءات البرتغالية على قاعدة شلب [1] فأثرت هذه الأنباء في نفس الخليفة وكتب إلى قواد الأندلس يوبخهم ويأمرهم بغزو بلاد الفرنج ويعلمهم بأنه قادم عليهم في أثر كتابه، فاجتمع قواد الأندلس إلى محمد بن يوسف والي قرطبة، فخرج بهم في جيش كثيف من الموحدين والعرب وأهل الأندلس حتى نزل على شلب فشدد عليها الحصار وتابع فيها القتال حتى فتحها وفتح قصر أبي دانس ومدينة باجة ويابورة [2]، وأما المنصور فإنه لما وصل بقواته إلى قرطبة نزل بها، وكان قد وصل إلى قرطبة أيضا رسل من قبل ملك قشتالة جاءوا ليسعوا إلى عقد الهدنة [3]، وهكذا يكون المنصور قد جاز جاز مرتين إلى الأندلس إحداهما سنة 585ه هاجم فيها شنترين دون أن يحصل منها على طائل، بينما تمكن قائده بقرطبة أن يستولي بعد سنة على شلب. ومن خلال مقام المنصور بالأندلس انعقد بينه وبين النصارى صلح لمدة خمس سنوات [4]، وكان اختتام هذه الغزوة في شهر شوال سنة 587ه/ نوفمبر سنة 1191م.

وهدأت الحرب في الأندلس بضعة أعوام ذلك أن سلطان الموحدين كان عليه أن يخمد ثورات جديدة في إفريقية [5]، خرج المنصور من تلمسان إلى فاس وهو مريض، فكان يركب في أكروار فدخلها وأقام بها مريضا من علته، وارتحل إلى مراكش فأقام بها إلى سنة 591ه[6]، وفي أوائل هذه السنة اكتملت أهبة المنصور لغزوته الكبرى فعبر إلى إلى الأندلس بحشود ضخمة، وأخذت القوات الأخرى تتوافد إلى إشبيلية. [7]

---

(1)– ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، 329.

(2)– السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 184؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ص205.

(3)– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص146.

(4)– إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص277.

(5)– يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص81.

(6)– ابن زرع الفاسي: المصدر السابق، ص ص 219–220.

(7)– حسين مؤنس: المرجع السابق، ص227.

الفصل الثالث

الانتقال من زمن الانتصار إلى الهزيمة والانهيار

المبحث الأول: معركة الأرك 591هـ/1195م

المبحث الثاني: معركة حصن العقاب 609هـ/1212م

المبحث الثالث: أسباب الهزيمة وأهم نتائجها.

هدأت الحرب في بلاد الأندلس بضعة سنين، بعد رجوع الخليفة يعقوب المنصور إلى المغرب ، حيث قام النزاع بين النصارى في الشمال (أراغون و نافارا) وجيرانهم بفرنسا وصبت كل من البرتغال و ليون اهتمامهم بقرار الحرمان البابوي في حين عمل الفونس الثامن ملك قشتالة بمحاربة المسلمين. [1]

المبحث الأول: معركة الأرك[2] 591 ه / 1195 م

تعد من أعظم المعارك الحربية التي انتصر فيها المسلمون بالأندلس ومن أكثرها جندا وكان قائد النصارى الفونس ملك الافرنج في اسبانيا والسبب في هذه المعركة أن الفونش قد كتب كتابا إلى يعقوب بن عبد المؤمن فيه تحد و إساءة أدب [3] ، فلما قرأ المنصور الكتاب أخذته غيرة الإسلام، فكتب على قفا الرسالة يعقوب بن عبد المِؤمن رده: ﴿**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ [4] الجواب ما ترى لا ما تسمع [5] .

جرت أحداث بينه وبين الأندلس بقيادة الموحدين عقدت بعدها معاهدة بين الطرفين سنة 586 ه ومدتها خمس سنين أو أكثر ، حيث انتهت الهدنة المعقودة مع الفونش الثامن ملك قشتالة سنة 590 ه / 1194 م. فبدأ بمهاجمة الأندلس والعيث فيها، أعد الموحدون

---

[1]– محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص195.

[2]– الأرك: هو حصن منيع بمقربة من قلعة رباح اول حصون اذفونش بالاندلس. ينظر: الحميري، الروض المعطار ص 27.

[3]– محمد منير الجنباز: معارك إسلامية خالدة (من بدر حتى غزوتي مائة معركة ومعركة)، ط2، مكتبة التوبة الرياض 1428ه، ص 143.

[4]– سورة النمل، الآية 37.

[5]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 221؛ شوقي أبو خليل: الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي، دار الفكر، دمشق، 1979م، ص 52.

حملة للتوجه إلى الأندلس [1] وفي هذا يروي المقري في نفح الطيب" ولما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها إلا القليل، خرج طائفة من الإفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسعوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر إليه فتجهز لقصدهم في جيوش موفرة وعساكر مكتبة واحتفل ذلك، وجاز إلى الأندلس سنة 591 ه فعلم به الإفرنج فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها، و أقبلوا نحوه [2].

أخذ يعقوب يجمع الجيش لمواجهة الفونش المتغلب على أكثر جزيرة الأندلس، فاجتمع له جيش ضخم بلغ مئة ألف غير المتطوعة [3] ويقول ابن أبي زرع الفاسي أن " أول من جاز البحر قبائل العرب، ثم زناتة، ثم المصامدة ثم غمارة، ثم الجيوش المتطوعة من قبائل العرب وغيرهم من الأعزاز والرماة، ثم الموحدون ثم العبيد" [4] ونزلت هذه القوات في إشبيلية حيث أقام فيها الخليفة أياما قام خلالها باستعراض جنوده وتقسيم الأموال عليهم، ثم خرج لغزو الروم ونزل بالقرب من الأرك بين قرطبة وقلعة رباح ، من نواحي بطليموس.

وكان الفونش قد اتخذ من الأرك قاعدة لمقاومة المهاجمين، وهي الحد الفاصل بين قشتالة وأراضي المسلمين[5]في ذلك الوقت التقت الجيوش الإسلامية مع جيوش النصارى هناك، تجهز الفونش الثامن للقاء الجيش الموحدي بعد أن استعان بمملكتي ليون ونافارا[6]

---

[1]– عبد الرحمن علي حجي: التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، بيروت، 1981م، ص ص463 – 464.

[2]– المقري: المصدر السابق، المجلد الرابع، ص381.

[3]– ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1406ه/1986م، ج6، ص 500.

[4]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 222.

[5]– محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص ص 197 – 198.

[6]– راغب السرجاني: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1432ه/2011م، ج2، ص 590.

وكانت جموع القشتاليين كبيرة، اختلفت الروايات في تقديرها ويذكر ابن عميرة الضبي في كتابه بغية الملتمس أن جيش الفونش الثامن كان " ينيف على خمسة وعشرين ألف فارس ومئتي ألف راجل، وكان معه جماعات من تجار اليهود قد وصلوا لاشتراء أسرى المسلمين وأسلابهم وأعدوا لذلك أموالا فهزمهم الله تعالى"[1] ويقدر صاحب كتاب الاستقصاء هذه القوات بنحو ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل، وصاحب كتاب شذرات الذهب يقدرها بنحو مئتين وأربعين ألفا، ويرى المراكشي أنه لم يجتمع للفونش مثلها قط [2] ويضيف ابن خلدون أنه كان يقود ويترأس القوات النصرانية ثلاثة من أمرائهم هم ابن الاذفونش وابن الرند والبيبوج[3] قبل وصول الخليفة المنصور إلى الأرك بمرحلتين جمع الناس وفاوضهم ووعظهم، ثم اختص أهل الأندلس بمزيد من المشورة وقال لهم: "إن جميع من استشرته وإن كانوا أولى بأس ومعرفة بالحرب لكنهم لا يعرفون من قتال الإفرنج ما تعرفونه انتم لتمرسكم بهم وتمرسهم بكم " فأحالوه في الرأي على القائد ابن صناديد فعّول المنصور في ذلك على رأيه[4].

وكان من رأي ابن صناديد انه يجب أن توضع خطة موحدة منظمة لتسيير دقة الحرب، وأنه يجب أن يختار أمير المؤمنين قائدا عاما للجيش كله، فاختار المنصور كبير وزرائه، الزعيم الأشهر أبي يحي بن أبي حفص، ولما كان الأندلسيون والموحدون يشكلون قوة الجيش الرئيسية، نصح ابن صناديد بأن يتولى هؤلاء لقاء العدو ومواجهة هجومه الأول أما بقية الجيش المؤلفة من قبائل البربر وجمهرة كبيرة من المحاربين

---

[1]– أحمد بن يحي بن أحمد الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967م ص ص 45 – 46.

[2]– السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 190؛ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج6، ص 500؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 389.

[3]– ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 329.

[4]– السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 187؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص ص 223 – 224.

والمجاهدين، فيجب أن تكون قوة احتياطية للموحدين والأندلسيين، تقوم بالعون والإمداد، أما يعقوب المنصور فيستعد بحرسه الأبيض والأسود ويقف بهم على أهبة الاستعداد في مكان قريب متواريا عن الأنظار فيدخل المعركة في الوقت المناسب خاصة إن بدت الهزيمة على المسلمين[1].

وافق المنصور على هذه الخطة فنزل عسكر المسلمين في الوطا، وذلك من ضحى يوم الأربعاء التاسع من شعبان591 ه/ [2]، 19 يوليو 1195 م وقد نظم جيش الموحدين الذي تقدره بعض الروايات بستمائة ألف مقاتل وكان على النحو التالي: احتل الموحدون القلب واحتل الجناح الأيسر الجند العرب ومعهم زناتة والقبائل البربرية واحتل الجناح الأيمن قوى الأندلس بقيادة عبد الله بن صناديد وتولى المنصور قيادة القوة الاحتياطية [3] وقد حرص الخليفة يعقوب على استغلال الخلافات والمنازعات القائمة بين ملك قشتالة الفونش الثامن وبين كل من ملك نافارا وملك ليون على الحدود بينهم، فأراد لقاء القشتاليين من دون نصير[4] وقبل المعركة وجه يعقوب المنصور رسالة إلى أفراد جيشه، حيث قام القائد العام الوزير أبو يحي وصاح بصوت مرتفع يقول للناس: " إن أمير المؤمنين يطلب إليهم أن يغفروا له، فأن هذا موضع غفران، وأن يتغافروا فيما بينهم، وأن يطيبوا نفوسهم، وأن يخلصوا نياتهم لله. فبكى الناس وصاحوا من جانبهم بطلب الغفران من الخليفة، وأنه بيمن نيته وصدق طويته، يرجون الخير من الرحمان "[5]

---

[1]– يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص ص 83 – 84.

[2]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 226؛ الحميري: الروض المعطار، ص 27.

[3]– يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص 85.

[4]– محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص 200؛ عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 725.

[5]– ابن عذاري: المصدر السابق، ص 219؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني) ص 203.

ويذكر السلاوي، أنه عندما أخذت عناصر الجيش الإسلامي مراكزها خرج جرمون بن رياح أمير العرب يمشي بين صفوف المسلمين، و يحرضهم على الثبات في وجه العدو[1] ويتلو الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد، قالى تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[2]﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾[3]، وبينما كان المسلمون على هذا الوضع إذا بكتيبة العدو مكونة من عشرة آلاف فارس مسلحة بالدروع هاجمت المسلمين، إلا أنها تقهقرت في مرتين متتاليتين وفي المرة الثالثة خالطت صفوف المسلمين وخلص البعض منها إلى الشيخ أبي يحي يظنونه المنصور فاستشهد ومعه جماعة من المسلمين من هنتاتة والمتطوعة[4] ثم تقدمت قبائل العرب وغمارة والجند الأندلسي فأحاطوا بالفرسان النصارى حتى أبادوا معظمهم وطحنوهم طحنا.

انكسرت شوكة الفونش بهلاكهم وأسرعت خيل من العرب إلى أمير المؤمنين المنصور فأعلموه، فعندها أمر المنصور برفع الرايات وقرع الطبول و كبر المسلمون بأصواتهم وتسابقوا لقتال العدو، اندهش النصارى لهول ما رأوه، حيث سأل الفونش عن هذه القوات فقيل له: هذا المنصور قد أقبل بجيشه[5] فقذف الله الرعب في قلوب الكافرين وولوا الأدبار منهزمين وأحاطوا المسلمون بحصن الأرك ظنا منهم أن الفونش قد تحصن فيه فلما اقتحموه وجدوا الفونش قد فر من أحد أبوابه[6] وفي هذا الصدد يقول حركات أن عدد أساري المسيحيين كثر في عهد الخليفة المنصور مما أدى بالبابا إينوصان الثالث أن

---

[1]– السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص 189.

[2]– سورة ال عمران: الآية 200.

[3]– سورة محمد: الآية 7.

[4]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص ص 226– 227.

[5]– السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص ص 190– 191.

[6]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص228.

يبعث سنة 1189م رسالة شديدة اللهجة إلى المنصور حتى جمع فيها بين المسلمين والوثنيين، ومع ذلك إستجاب الخليفة لرغبته في مفاداة الأسرى[1] .

انتهى يوم الأرك بهزيمة النصارى على نحو مروع، وسقط منهم في القتال ثلاثون ألف قتيل وغنم المسلمون معسكر الإسبان بجميع ما فيه من المتاع والمال واقتحموا عقب الموقعة من الأرك وقلعة رباح المنيعتين[2]. ويقال انه قد غنم المسلمون غنيمة لم يسمع بمثلها، حتى بيع السيف بنصف درهم، والحصان بخمسة دراهم، والحمار بدرهم[3]. فدخل الخليفة قلعة رباح وأمر بكنيستها فغيرت مسجدا فصلى فيها المسلمون واستولى على ما حول طليطلة من الحصون، ثم رجع على مدينة إشبيلية منصورا مفتوحا عليه[4] وفي هذا يقول ابن عذارى: "ولما رأت ملوك الروم أن بلادهم ورجالهم قد أتى عليهم الاستئصال والاصطلام ... وجهوا إرسالهم في طلب الصلح على ما عهد من شروط الأحكام فأسعفوا فيه على حكم شريعة الإسلام "[5]

يعلق أوكالاهان على استجابة الخليفة لعقد معاهدة الصلح بقوله: " إن الخليفة المنصور بموافقته على عقد معاهدة الصلح قدم منحة ثمينة لملك قشتالة ". فقد كانت الأخطار آنذاك تحيط بملك قشتالة... خطر ملك ليون من ناحية وملك نبره من ناحية

---

[1]– إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج1، ص 279.

[2]– شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص 62.

[3]– أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي: مراءة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1 ،دار الكتب العلمية، بيروت، 1417ه/ 1997م، ج3، ص 357؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ (من سنة 562 لغاية سنة 628 للهجرة)، راجعه: محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424ه/2003م، ج10، ص 591؛ بطرس البستاني: معارك العرب في الأندلس، دار مارون عبود، 1987م، ص95.

[4]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 359.

[5]– ابن عذاري: المصدر السابق، ص 228.

أخرى لكن السبب الذي جعل المنصور يعقد معاهدة صلح هذه رغم تفوقه العسكري وضعف أعدائه هو ثورة بني غانية واستفحال أمرهم بافريقية[1].

توفي الخليفة المنصور ليلة الجمعة 22 ربيع الأول 595 ه/ 22 يناير 1199 م وخلفه ابنه محمد الناصر[2].

وكان الخليفة المنصور قد أوصى باليتيمة والأيتام فسئل عما يقصد فقال اليتيمة هي جزيرة الأندلس والأيتام هم سكانها المسلمون[3] .

المبحث الثاني: معركة العُقَاب 609 ه / 1212 م

عاشت بلاد الأندلس العديد من الوقائع و الأحداث التاريخية و الحاسمة في مصيرها إذ شهدت مختلف المعارك، وتعتبر موقعة العقاب[4] ، نقطة تحول في مصير الوجود الإسلامي في الأندلس، حيث كانت بين الموحدين والنصارى، فبعد انتصار الموحدين في معركة الأرك التي ساهمت في زيادة قوات الدولة الإسلامية، فكانت معركة العقاب في المقابل بداية سقوط الأندلس الكبرى والقضاء على الوجود الإسلامي بها.

استغلت الممالك النصرانية فرصة اشتغال الخليفة محمد الناصر لدين الله، بحوادث إفريقية واستيلاء بني غانية على ثغورها، لتجدد غزواتها على الأراضي الإسلامية[5] فقام القشتاليون بعقد الصلح مع جيرانهم النصارى، وأخذ ملك قشتالة الفونسو النبيل يتأهب لمحاربة المسلمين بكل قوة، فبعد أن حصن ألفونسو قلعة (مورا) الواقعة على الحدود

---

[1]– هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص ص 273–274.

[2]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث،القسم الثاني)، ص 250.

[3]– ابن عذاري: المصدر السابق، ص ص 231–232.

[4]– العُقَاب: موقع بين جيان وقلعة رباح، وهو ليس علما على بلدة او مدينة، وانما هو اسم لهذه المعركة، نظرا لكونها وقعت فعلا في عقاب جمع عقبة واوعار بجبال الشارات وهو المرتقى الجبلي. ينظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية الهامش 11 ، ص 161؛ عبد الرحمن علي حجي: المرجع السابق، ص 493.

[5]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث،القسم الثاني)، ص283.

تحصينا قويا سنة 1209 م، سار في جيش مع القشتاليين إلى الأندلس فنهب القرى وقتل السكان ثم عاد إلى قشتالة، وعقد الصلح مع ملكي نافارا وأراغون، وحصل منهما على وعد بتأييده وإمداده بالجند، حين تعرضه للخطر في محاربته للعدو المشترك، واعتزم على محو اثر هزيمة الأرك بالانتصار على الموحدين[1] وقبل انتهاء أجل الهدنة بين قشتالة والموحدين سار ألفونسو اتجاه جيان[2]

وبياسة[3] وأندوجر وخربهما[4]، دون أن يبدي اهتمامه إلى احتجاج الخليفة الموحدي على خرقه وتجاوزه لنصوص الهدنة المبرمة بينهما[5]، وأمام هذه الاعتداءات الهمجية المتكررة على الأندلس، أعلن الناصر لدين الله الجهاد، فحشد قوات كبيرة وشرع في إرسالها من المغرب[6]، وقسمها إلى خمسة جيوش، فجعل الجيش الأول من قبائل البربر، والثاني من الجنود المغاربة، والثالث من الجنود الموحدية النظامية، والرابع من المتطوعة من جميع أنحاء المملكة والخامس هو جند الأندلس[7]، حتى اجتمع لديه جيش يفوق ستمائة ستمائة ألف وهو أكبر جيش إسلامي حُشد[8]، فقصد أمير المؤمنين الناصر بلاد العدو

---

[1]– يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص 107.

[2]–جيان: مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة 20 ميلا وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار وكثيرة اللحوم. ينظر: الحميري الروض المعطار، ص 183.

[3]– بياسة: مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كورة جيان، بينها وبين ابذة فرسخان، وزعفرانها هو المشهور في بلاد المغرب دخلها الروم سنة 542ه واخرجوا منها سنة 552ه. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 518.

[4]–محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص284.

[5]– عبد الرحمن علي حجي: المرجع السابق، ص 491.

[6]– علي محمد الصلابي: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط3، دار المعرفة، بيروت 2009م ص 397.

[7]–علي محمد الصلابي: صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، دار البيارق، عمان، 1998م، ج5، ص 203.

[8]– محمد منير الجنباز: المرجع السابق، ص 145؛ نجيب زبيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ط1 دار الأمير، بيروت، 1995م، ج2، ص398.

ألفونسو في جيش عظيم[1] ويُعلق صاحب روض القرطاس على عبور الخليفة الموحدي بقوله: "واهتّزت جميع بلاد الروم بجوازه، ووقع خوفه في قلوب ملوكهم، وأخذوا في تحصين بلادهم

وإخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم و حصونهم، وكتب إليه أكثر أمـــرائهم يســـألون سلامته ويطلبون منه عفوه"[2] .

وهذا ما فعله صاحب بيونة[3] فطلب من الخليفة الناصر العفو وقدم أمامـــه شـــفيعا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه إلى هرقل يستشفع به[4]، خرج الناصـــر مـــن إشبيلية غازيا بلاد قشتالة في أوائل صفر 608 ه بجيشه، فسار حتى نزل قلعة شـــلبطرة وهي قلعة منيعة تقع في أعلى قمة الجبل فحاصرها حصارا شديدا مدة ثمانية أشهر حتـــى فتحها صلحا وذلك في أواخر ذي الحجة سنة 608 ه [5] ثم زحف للقاء الفـــونس التاســـع بموضع يعرف بالعقاب، بالقرب من حصن يدعى حصن سالم[6]، وفي هذا الوقـــت كـــان ملك قشتالة، يبذل أقصى جهوده في استكمال أهباته لمقاتلة الموحدين، فقـــد كتـــب إلـــى الأساقفة بدعوة النصارى في جنوبي فرنسا وغيرها إلى التطوع لمقاتلة المسلمين.

---

[1]– ابن عذاري: المصدر السابق، ص263.

[2]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص234.

[3]– بيونة: مدينة تقع في الطرف الأخر من البرينيه على خليج بسكوينية، قرب مملكة نافارا. ينظر: محمـــد عبـــد الله عنان المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص 289.

[4]–ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج2، ص207؛ محمد عبد الله عنان: المرجع الســـابق، (العصـــر الثالـــث، القسم الثاني)، ص289؛ محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص 228.

[5]– السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص ص 221–223؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصـــدر الســـابق، ص ص 236–238 يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص108.

[6]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 401.

ولم يأت شهر مايو سنة 1212 م [1]، حتى اجتمع في قشتالة من المحاربين الصليبيين الذين أتوا من جميع أنحاء أوربا لمعاونة إسبانيا النصرانية، حتى بلغ عدد الجيش سبعين ألف مقاتل لمؤازرة الجيوش الإسبانية النصرانية[2]، وكانت تتألف من جيوش قشتالة وأراغون ونافارا اجتمعت هذه الجيوش في طليطلة لتهاجم الجيوش الثلاثة قلعة رباح في جوانبها المنيعة، حتى سقطت المدينة في أيديهم[3]، وبعدها هذا النجاح الذي حققه الجيش النصراني في الإستيلاء على قلعة رباح، شجعهم لمواصلة الحرب ضد المسلمين، خاصة بعد استرجاع النصارى حصن الأرك[4] وانضمام قوات من فرسان ملك ملك نافارا بإلحاح من البابا سدت الفراغ الذي تركته القوات المنسحبة، وعند سقوط قلعة رباح اتجه الناصر من مدينة جيان إلى ضفة الوادي اليمنى نحو بياسة وأبذة[5] مستغلا رحيل المحاربين النصارى[6].

وبدأت المعركة في الصباح الباكر من يوم الاثنين الخامس عشر من صفر، وكان كل من الجيشين على استعداد تام لخوضها[7] هاجم المتطوعون من المسلمين على مقدمة النصارى، لكنهم ارتطموا ارتطاما شديدا بقلب القشتاليين المُدرب على القتال، فتصدوا لهم بكل قوة و مزقوا مقدمة المسلمين واستشهد الآلاف من المسلمين في الضربة الأولى لهم[8] لهم[8]

---

[1]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص293.

[2]– يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج2، ص 110.

[3]–علي محمد الصلابي: دولة الموحدين، ص207.

[4]– إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج1، ص283.

[5]– أَبْذَة: هي مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة سبعة اميال، وهي مدينة صغيرة على مقربة من النهر الكبير. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص06.

[6]– محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص232.

[7]–محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص311.

[8]– راغب السرجاني: المرجع السابق، ج2، ص 615.

يقول صاحب روض القرطاس عن ذلك: " فاقتلوا قتالا شديدا وصبر المسلمون لهم صبرا جميلا، واستشهد المتطوعة عن آخرهم وعساكر الموحدين والعرب و قواد الأندلس ينظرون إليهم لم يتحرك منهم أحد "[1]، وتقدم النصارى إلى قلب الجيش الإسلامي فاشتبك معهم الموحدون والعرب، ولقوا منهم مقاومة شديدة، أجبرتهم على التراجع، وعندما شاهد ملك قشتالة تطور القتال على هذا الشكل السيئ، قرر أن يُسيّر بنفسه الليونيين والقشتاليين، وأن يقتحم الميدان بمحاولة أخيرة فكانت كلماته التي قالها لمطران طليطلة هي " إن الساعة قد حانت لنلقى الموت المجيد "[2]. وتبعه في نفس الوقت قوات ملكي أراغون ونافارا لاختراق قلب الجيش الموحدي من جديد، فهاجمت القوات النصرانية كلها في وقت واحد، بمنتهى العنف والقوة حيث تزعزع الجيش الموحدي أمام ضغط الفرسان النصارى[3] . وانسحاب الجند الأندلسيون الذين كانوا يقاتلون مجبرين مع الموحدين[4] .

وحين فرت ميمنة المسلمين من أرض الموقعة التف النصارى حول جيش المسلمين وبدأت الهلكة فيهم، فمات من المسلمين الآلاف بسيوف النصارى[5]، انتهت المعركة بهزيمة المسلمين هزيمة فادحة[6] ، بعد قتال شديد من قبل الطرفين كانت الخسارة فيها عظيمة[7]. واضطر الناصر في آخر لحظة أن يمتطي صهوة فرس أعرابي كان إلى جانبه، وأن يغادر ساحة المعركة مع نفر من خاصته، نحو بياسة ومن ثم إلى جيان[8] .

---

[1]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص239.

[2]–يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص119.

[3]–محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص312.

[4]– ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص239؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص223؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص120.

[5]– راغب السرجاني: المرجع السابق، ج2، ص616.

[6]–ابن عذاري: المصدر السابق، ص263.

[7]– عبد الرحمن علي حجي: المرجع السابق، ص493.

[8]–محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص313.

وقد قال الناصر لدين الله وهو يهرب: صدق الرحمان وكذب الشيطان[1]، حيث دخل الموقعة وهو يعلم أنه منصور بعدده، فعلم أن هذا من إلقاء الشيطان وكذبه، وصدق الرحمان لقوله تعالى:﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾ [2]

فولى الناصر لدين الله مدبرا[3]. وكانت هذه الهزيمة الكبرى على المسلمين.

يوم الإثنين 15 صفر 609 ه[4] 16 يوليو 1212 م، ويصف لنا صاحب الحلل الموشية، هذه الموقعة بأنها هزيمة عظمى" فني فيها أهل المغرب و الأندلس" [5] ، في حين نجد المراكشي قد ذكر في روايته أنه قتل من الموحدين خلق كثير[6]. ويذكر الحميري أنه سقط في هذه المعركة جملة من الأعيان و الطلبة[7]، وكذلك العلماء والحفاظ من بينهم محمد بن حسن الأنصاري المعروف بابن صاحب الصلاة[8]. وإسحاق بن إبراهيم المجابري وغيرهم، موضحا بذلك مشاركة العلماء مع الموحدين في معارك الجهاد بالأندلس[9].

---

[1]–يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص120.

[2]–سورة التوبة: الآية 25.

[3]– السلاوي: المصدر السابق،ج2، ص224؛ راغب السرجاني: المرجع السابق، ج2، ص616.

[4]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص402؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص240؛ السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص224؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية بيروت، (د ت)، ج24، ص188؛ إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج1، ص284.

[5]– مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص161.

[6]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص401؛ الحميري: الروض المعطار، ص416؛ المقري: المصدر السابق، المجلد الرابع، ص446.

[7]–الحميري: الروض المعطار، ص416.

[8]– أبو الحسن النباهي: تاريخ قضاة الأندلس(المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1403ه/ 1983م، ص115.

[9]– محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص234.

ومن جانب آخر نجد الرواية النصرانية قد قدرت خسائر الجيش الإسلامي، فقدرها ردريك الطليطلي بمائتي ألف وألفونس بمائة وخمسة وثمانين ألف فارس، وفي المقابل تجمع الرواية النصرانية على أن خسائر النصارى كانت بسيطة[1].

المبحث الثالث: أسباب الهزيمة وأهم نتائجها

تعرضت الأندلس إلى نكسة عسكرية عنيفة وخطيرة جدا، تمثلت في موقعة العقاب التي فتحت باب بداية النهاية لهذه البلاد، لم يستطع الموحدون القيام بعدها بل إن الدولة منذ هذه المعركة أخذت تسرع في السقوط[2]، تعود أسباب هزيمة الموحدين في معركة العقاب كما كما يرى صاحب روض القرطاس إلى غرور الخليفة الناصر وإعجابه بكثرة جنوده لأنه اجتمع في تلك الحركة من المقاتلين خيلا ورجالا ما لم يجتمع لملك قبله[3]، في حين يرى المراكشي أن أكبر أسباب هذه الهزيمة يعود إلى اختلاف قلوب الموحدين، حيث كانوا على عهد يعقوب المنصور يأخذون العطاء كل أربعة أشهر، فأبطأ عليهم العطاء في عهد الخليفة الناصر وظنوا أن الوزراء وراء هذا التأخير، وخرجوا وهم كارهون للغزو[4]، كما كما يرجع ابن الأحمر سبب انهزام الموحدين في العقاب هو إحراقهم المدونة، فسلط الله عليهم النصارى فهزموهم[5]، وبالفعل قام الموحدون بحرق بعض المصنفات لكبار فقهاء المذهب المالكي في عهد الخليفة يعقوب المنصور معتبرين كتاب الله وسنة رسوله هما المرشدين للمسلمين ولعله أفقد هذا الأمر تمسك الناس بالموحدين وعدم الاهتمام بهم[6]، بالإضافة إلى ما حدث قبيل نشوب المعركة في المعسكر الموحدي منها قتل الخليفة

---

(1)–يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص122.

(2)– مراجع عقيلة الغناي: المرجع السابق، ص227.

(3)– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص240.

(4)–عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص402.

(5)– إسماعيل ابن الأحمر: بيوت فاس الكبري، دار منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص53.

(6)–محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص235.

الناصر لأشياخ الموحدين [1] وإهانة وزيره أبو سعيد ابن جامع أعيان الموحدين، و قد كان لهذه الحوادث وقع سيء في نفوس الأندلسيين ما نتج عنه تثبيط همتهم في القتال[2]، كما تم استهلاك طاقة الجيش الموحدي في طول الحصار لقلعة شلبطرة مدة ثمانية أشهر فاشتد البرد ونفذت أزواد الناس ونفقاتهم وحبطت عزائمهم، وفسدت نياتهم التي كان هدفها الجهاد[3]. لأنهم كانوا أكثر خبرة بقتال النصارى الإسبان وأعلمهم دراية بطريقتهم في الحرب[4].

يذكر صاحب روض القرطاس بعض أسباب هذه الهزيمة ثم يقول: " ومخادعة النصارى لباقي الأجناد بإشهار الصلح والعمل على ضده، حتى خالطوهم على غفلة، فأخذ المسلمون في فرار ما سمع بمثله "[5] .

يعتبر انتصار النصارى في موقعة العقاب، أول انتصار يحققونه ضد المسلمين الأندلس و المغرب[6] ، وكانت نتائج هزيمة العقاب قاصمة الظهر للموحدين أولا، حيث ضعف شأنهم في الأندلس والمغرب بعد ذلك وكانت سبب هلاك الأندلس وخرابها، يقول بذلك أبو إسحاق إبراهيم بن دباغ الإشبيلي:

وقائلة أراك تطيل فكرا كأنك قد وقفت لدى الحساب

فقلت لها: أفكر في عقاب غدا سببا لمعركة العقاب

فما في أرض أندلس مقام وقد دخل البلاد من كل باب[7]

---

[1]–عزالدين عمر أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983م، ص86.

[2]–محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص318.

[3]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص237.

[4]–محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص318.

[5]– الحميري: الروض المعطار، ص416.

[6]–روجي لي تورنو: المرجع السابق، ص96.

[7]– طارق السويداني: الأندلس، التاريخ المصور، ط1، شركة الإبداع الفكري، الكويت، 2005م، ص369.

استولت جيوش الفونس الثامن على الغنائم الكثيرة منها، أشياء ثمينة كالعلم الموحدي الذي مزال محفوظا في إسبانيا[1]، بعد أن امتلأت يدا الفونس هو وأيدي أصحابه أموالا وأمتعة من متاع المسلمين قصد مدينتي بياسة وأبذة، فحرق بيوتها وخرب مسجدها الأعظم ونزل على أبذة فحاصرها مدة ثلاثة عشر يوما، ثم دخلها عنوة فقتل وسبى وغنم، فكانت هذه أشد على المسلمين من الهزيمة[2].

وكان من أثار هذا النصر العظيم أنه تمكن النصارى بكل سهولة أن يفتتحوا عدة حصون عقب الموقعة بأيام قلائل مثل فرال وبلج وبانيوس و تولوسا[3] .

وعلى أية حال لم تكن موقعة العقاب سببا في تحطيم قوى السلطان الناصر بالأندلس فقط و لكنها أدت إلى تدمير سلطان الموحدين في المغرب أيضا، فقامت دويلات في المغرب وبدأ عصر ظهور ملوك الطوائف الثاني بعد الموحدين وأدى الأمر إلى سقوطها بيد النصارى[4]. ويقول ابن عذارى كذلك عن واقعة العقاب أنها " كانت سببا في هلاك الأندلس."[5]

عاد الخليفة الناصر ومن معه إلى إشبيلية ثم إلى مراكش حيث توفي في شعبان سنة 610 ه ديسمبر 1213 م. اختلف في أسباب وفاته[6] ، حيث يروي لنا صاحب روض القرطاس أن الخليفة الناصر عند عودته إلى مراكش انغمس في الملذات فمات مسموما

---

[1]– محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال(دراسة تاريخية أثرية)، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص ص 313– 314؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص317.

[2]–عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 402–403.

[3]– يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2 ، ص123.

[4]– علي محمد الصلابي: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص408.

[5]– ابن عذاري: المصدر السابق، ص263

[6]– عبد الرحمن علي حجي: المرجع السابق، ص497.

بأمر وزرائه عندما عزم على قتلهم فأسرعوا في قتله[1] ، وفي روايـــة صـــاحب الحلـــل الموشية أنه اُغتم بسبب الهزيمة غما كبيرا فمات[2] ، وصاحب الروض المعطار يذكر أن السبب في وفاته هو تعرضه لعضة كلب في رجله[3]، لكن أصح تلك الروايات هـــي مـــا يرويه المراكشي فهو مؤرخ الدولة الموحدية المعاصر، ومضمونها أنه " أصابته سكتة من ورم في دماغه فأقام ساكتا لا يتكلم، وأشار عليه الأطباء بالفصد فرفض ذلك، وتوفي يوم الأربعاء 10 شعبان 610 ه "[4] .

وتولى الحكم من بعده ولده السيد يوسف الملقب بالمستنصر[5] .

وعلى أية حال كانت سياسة الموحدين القائمة على الانفراد بالحكم والنفوذ في الأندلس قد جعل أبناء هذه البلاد يُقدمون على الحرب، وهم مكرهون وهذا قد انعكس سلبا على الجيش الإسلامي الذي كان اقل نشاطا وتماسكا عن الجيش النصراني، ونتيجة هذا الأمر تمثل في هزيمة العقاب التي كانت ضربة شديدة أضعفت دولة الموحدين وأدت إلى زوال الأندلس.

---

[1]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص241.

[2]– مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص161.

[3]– الحميري: الروض المعطار، ص416.

[4]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص403.

[5]– المصدر نفسه، ص404.

خاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا ومعالجتنا لموضوع "الصراع الموحدي النصراني في الأندلس". نكون قد توصلنا إلى العديد من النتائج الآتية:

1- بعد انهيار دولة المرابطين تمكن الموحدون من الجواز إلى الأندلس وضم ما تبقى منها إلى دولتهم.

2- من أهم العوامل التي دفعت الموحدين للتوجه الى الأندلس ولها تفسير واحد هو الهدف إلى تحقيق وحدة إسلامية شاملة تكون تحت راية خلافتهم

3- بلوغ الدولة الموحدية أوج ازدهارها في عهد عبد المؤمن بن علي بعد فرض حكمه على معظم مدن غربي الأندلس بالإضافة إلى السيطرة على وسطها .

4- كانت أولى بداية للموحدون في التصدي للخطر النصراني ومن حالفهم أمثال ابن مردنيش من أهل الأندلس الذي تعامل مع النصارى وأعانهم لتحقيق طُموحه

5- اغتنام الموحدون فرصة توحيد ابن همشك معهم صهر ابن مردنيش وإعلانه الولاء لهم، وبهذا يكونون قد سجلوا ضربة قاضية ضده، أَخْتُتَمَتْ بإنهائه من الوجود والقضاء عليه في معركة فحص الجلاب.

6- جواز الخليفة أبو يعقوب يوسف إلى غزوة وبذة وشنترين، فبدأت هذه الغزوة بالنصر لصالح الموحدين إلى أن انتكسوا في الشوط الثاني من هذه الغزوة، أما غزوة شنترين فقد انتهت باستشهاد الخليفة أبو يعقوب يوسف.

7- انتقال الموحدين إلى أوج قوتهم حيث تمكنوا خلالها من بسط نفوذهم وتحقيق انتصارات عظيمة، خاصة بعد الانتصار في معركة الأرك التي اختتمت بهزيمة النصارى هزيمة ساحقة، وتم بعدها توطيد دعائم الدولة الموحدية في الأندلس.

8-إصدار النصارى لفرمان مقدس تمثل في الإتحاد الشامل بينهم من أجل الانتقام لوقعة الأرك، التي حلت بهم وأثرت في نفوسهم ضد الموحدين في معركة العقاب التي كانت بمثابة الضربة القاضية على الموحدين، أما بالنسبة للأندلس فقد كانت

فاتحة بوابة النهاية لهذه البلاد، كل ما جرى من أحداث في هذه المرحلة كان له واقع سيئ أثر بالسلب على الدولة الموحدية والأندلس، فالموحدون كانوا يقاتلون على جهتين، الجهة الأولى مثلتها حركة بني غانية التي ظهرت في المغرب وإفريقيا من أجل تحطيم دولة الموحدين وتأسيس دولة تعيد أمجاد المرابطين، أما الجهة الثانية فكانت تمثلها وتترأسها العقيدة النصرانية حيث ظهر النصارى في شمال الأندلس وحاولوا التوسع على حساب المسلمين، وتمكنوا في الأخير من تحقيق طموحاتهم ودليل هذا انتصارهم في معركة العقاب ضد الموحدين، كل هذه الوقائع جعلت الدولة الموحدية تضعف و تسقط.

09- بعد سقوط السلطة الموحدية بالأندلس بعد الهزيمة الكبرى في معركة العقاب سنة 609هـ تغيرت الظروف كثيرا في أرض الأندلس ما أدى إلى تفرق المسلمين وظهور زعامات محلية متحاربة مع بعضها البعض، في حين قام النصارى في المقابل بالاتحاد والتقارب فيما بينهم.

10- استغلال القبائل المغربية ضعف الموحدين بعد هزيمة العقاب وعدم قدرتهم على التصدي لمحاولات الانفصال فتأسست مجموعة من الدول على أرض المغرب وبسطت نفوذها على المنطقة وهذه الدول هي دولة بني مرين ودولة بني وطاس ثم دولة بني زيان بالمغرب الأوسط والدولة الحفصية بافريقية.

رغم أننا سلطنا الضوء على الصراع الموحدي النصراني إلا أن هناك مواطن لا تزال تحتاج إلى دراسة وتمحيص ويتأتي ذلك بالحصول على النص المصدري الأندلسي النصراني حتى تكون هناك موازنة وموضوعية
مدى حضور البابوية في إذكاء الصراع المسيحي الإسلامي في الأندلس.

الملاحق

الملحق رقم 01: غزوة وبذة [1]

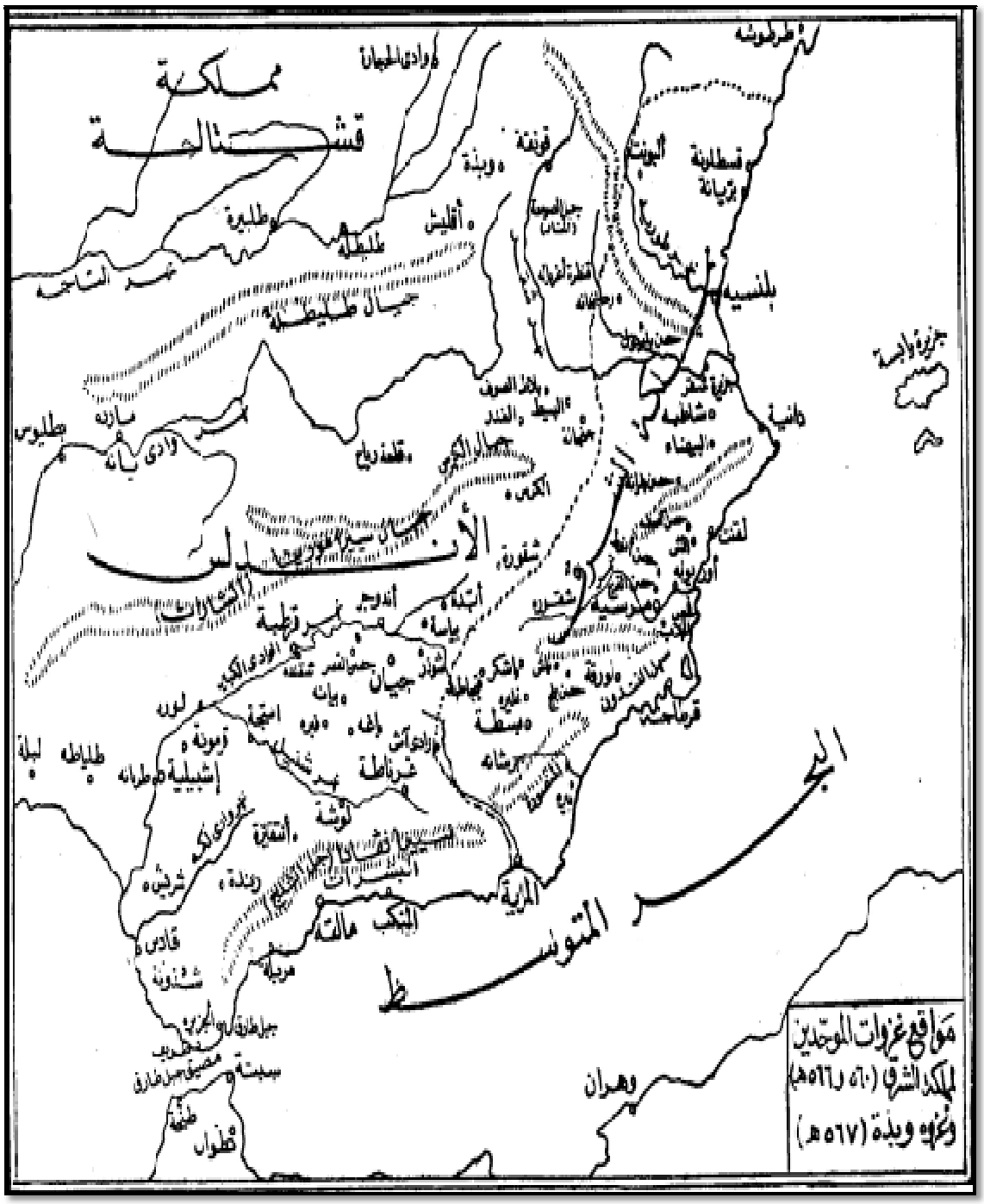

[1]– محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص 49.

الملحق رقم 02: خريطة توضع مواقع معركة الأرك [2]

[2]- محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، (العصر الثالث، القسم الثاني)، ص201.

الملحق رقم 03: خريطة موقعة العقاب [3]

[3]– راغب السرجاني: المرجع السابق، ج2، ص617.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم) .

أولا- المصادر :

* ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي(ت658هـ):

1- الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط 1، 1963، دار المعارف، القاهرة 1919، ج 2.

* ابن الاثير، عز الدين أبي الحسن الجرزي (ت630هـ):

2- الكامل في التاريخ، راجعه: محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1424ه/2003م، ج10.

* ابن الأحمر، إسماعيل (ت810هـ):

3- بيوت فاس الكبرى، دار منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

*الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني (ت560هـ):

4- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1466هـ/2002م، المجلد الأول.

* البيذق، أبي بكر علي الصنهاجي (ت 555هـ):

5- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوارقة، الرباط، 1971م.

* الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت720هـ):

6- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، لبنان، 1988م.

7- الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط 1، 1975م، مكتبة لبنان، بيروت.

* ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي(ت380هـ):

8- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

* ابن الخطيب، لسان الدين (ت658هـ):

9- أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، (الجزء الخاص بتاريخ إسبانيا الإسلامية)، تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، لبنان، 1956م.

10- الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1973م، ج1 .

11- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (القسم الثالث) تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء 1964م.

* ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ):

12- ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، 2000م، ج6 .

*ابن أبي الدينار، أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني(حي سنة 1092هـ):

13- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، 1286م.

* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي (ت 748هـ):

14- سير أعـــلام النـــبلاء، تـــح: شـــعيب الأرنـــؤوط ط 1، بيـــروت، لبنـــان 1405هـــ/1984م

* ابن أبي زرع الفاسي ، علي بن عبد الله (حي سنة726هـــ):

15- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينـــة فاس دار منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

* الزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 974هـــ):

16- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمـــد ماضـــور، ط 2، المكتبـــة العتيقة، تونس، 1966م.

* ابن سعيد المغربي، نور الدين أبو الحســـن علـــي بـــن موســـى العنســـي (ت 685هـــ):

17- كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتـــب التجـــاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1970م.

* السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـــ):

18- الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية و الموحديـــة) تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، ساحة المسجد الحمدي، الدار البيضاء،1418ه / 1997م ،ج 2.

* ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي (حي594 هـــ):

19- المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس)، تح: عبد الهادي التـــازي ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1964م.

* الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت599هـــ):

20- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967م.

* عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي التميمي (ت 647هـ):

21- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بالجمهورية العربية المتحدة، (د.ت).

* ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد (حي 712هـ):

22- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب _ قسم الموحدين _ ، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1985م.

* ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري (ت 1089هـ):

23- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1406ه/1986م، ج6.

* ابن القطان المراكشي،أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي (حي 650هـ):

24- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

* مجهول:

25- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/ 1979م.

* مجهول، (مراكش):

26- الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب، نشر وتعليق: سعد عبد الحميد زغلول دار الشؤون الثقافية والنشر العراق، 1986م.

* مقديش، محمود(ت1228هـ):

27- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزاوي ومحمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج1

* المقري، أحمد بن محمد (ت1041 هـ):

28- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1408ه/ 1988، المجلدان الأول و الرابع.

* المكناسي، أحمد بن القاضي(ت 1025هـ):

29- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، تح: محمد الفاطمي بن الحسين، دار منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ج2.

* النباهي أبو، الحسن بن عبد الله بن الحسن (حي792هـ):

30- تاريخ قضاة الأندلس(المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1403ه/ 1983م.

* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ):

31- نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية بيروت،(د ت)، ج24.

* اليافعي، أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت768هـ):

32- مراءة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/ 1997م، ج3.

* ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ت626هـ):

33- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ / 1977م، الأجزاء 1،4.

ثانيا –المراجع العربية:

أ- المراجع:

34- أحمد موسى عزالدين عمر: دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، ط1 دار الشروق، بيروت، 1983م.

35- البستاني بطرس: معارك العرب في الاندلس، دار مارون عبود، 1987م.

36- الجنباز محمد منير: معارك اسلامية خالدة (من بدر حتى غزوتي مائة معركة ومعركة)، ط2، مكتبة التوبة، الرياض 1428هـ.

37- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1420 ه/ 2000م، ج 1.

38- حسن حسن علي: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.

39- أبو خليل شوقي: الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي، دار الفكر دمشق 1979م.

40- دندش عصمت عبد اللطيف: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510ه : 546ه / 1116م : 1151م، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408ه هـ / 1988م.

41- أبو رميلة هشام: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط 1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 1404ه/ 1984م .

42- سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة الشباب الإسكندرية، د.ت.

43- السامرائي خليل إبراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ط 1، دار الكتاب الجديدة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2000م.

44- السرجاني راغب: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، 1432هـ/2011، ج2.

45- السويداني طارق: الأندلس، التاريخ المصور، ط1، شركة الابداع الفكري الكويت، 2005م، ص369.

46- الصلابي علي محمد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي ط3، دار المعرفة، بيروت، 2009م .

47- ـــــــــــ: صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، دار البيارق، عمان، 1998م، ج5.

48- طه جمال أحمد: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448هـ-1056م إلى 668هـ- 1269م "دراسة سياسة وحضارية"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، (د.ت).

49- العبادي أحمد مختار: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000.

50- العزاوي أحمد: رسائل موحدية- مجموعة جديدة- ، (القسم الاول)، ط1 منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية القنيطرة، 1416ه/ 1995م، ج1.

51- علي حجي عبد الرحمن: التاريخ الأندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة ط2، دار القلم، بيروت، 1981م.

52- عنان محمد عبد الله: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال(دراسة تاريخية أثرية)، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

53- ـــــــــ: دولة الإسلام في الأندلس _ العصر الثالث _ عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ، ط 2 مكتبة الخانجي القاهرة، 1990م.

54-ـــــــــ: دولة الاسلام في الأندلس- العصر الثالث- عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس، عصر الموحدين وإنهيار الأندلس الكبرى، ط2 مكتبة الخانجي القاهرة، 1411هـ/1990م.

55- الغناى مراجع عقيلة: سقوط دولة الموحدين، ط1، منشورات جامعة بنغازي ليبيا، 1395هـ/1975م.

56- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.ت.

57- القرقوطي معمر الهادي محمد: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس (541 _ 629 / 1146 _ 1233) ، دار هومة الجزائر، 2005.

58- مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية، (د.م) (د.ت) .

59- النجار عبد المجيد: المهدي ابن تومرت حياته وأراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1403ه/1983م.

60- ـــــــــ: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1415هـ/1995م.

ب-الموسوعات:

61- زبيب نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار الأمير بيروت، 1995م، ج2.

62- الموسوعة الإسلامية باللغة الانجليزية رجحت الولادة بين 471 هـ / 474 هـ J.F.P HOPKINS :the encyclopaedia of islam , vol 3

ج- المعاجم و القواميس:

63- الزركلي خير الدين: الأعلام، قاموس تراجم (لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 1085م ج1.

د-الأطاريح الجامعية:

64- قصاري سكورة و سوداني نعيمة: عبد المؤمن بن علي ودوره في الدولة الموحدية (524هـ-558هـ)(1130م-1164م) مذكرة لنيل درجة الماستر في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف: محمد شافع بوعناني، جامعة البويرة، 2014-2015.

ثالثا- المراجع الأجنبية:

أ- المعربة (المترجمة):

65-أشباخ يوسف : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ط 2 ، مؤسسة الخانجي، القاهرة 1996 ، ج2.

66- بروفنصال ليفي: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية الرسالة 21، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، رباط الفتح، 1941م، ج 10.

67- لي تورنو روجي: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تر: أمين الطيب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1982م.

68- مارسيه جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.

69- ميراندا أمبيروسيو هويثي: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، تر: عبد الواحد اكمير، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2004م،.

ب- في لغتها الأصلية (الفرنسية):

70- ATALLAH DHINA : les états de l'occident musulman aux 1314 et 15 siècles , office des publications universitaires , Alger 1984

71- MICHEL ABITBOL : HISTOIRE DU MAROC , PERR. France , 2009

فهـــرس الموضوعـات

فهـرس المـوضوعـات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-و
الفصل الأول: الموحدون والجغرافيا الأندلسية	
المبحث الأول: أوضاع الأندلس قبيل دخول الموحدين	11-9
المبحث الثاني: فترة الدعوة وتأسيس دولة الموحدين	15-11
المبحث الثالث: إنتقال الموحدين إلى الأندلس والصراع مع ابن مردنيش	22-15
الفصل الثاني: الصراع من المناوشة إلى الانتصار	
المبحث الأول: القضاء على ابن مردنيش	29-25
المبحث الثاني: غزوة وبذة وشنترين	33-29
المبحث الثالث: حصار شلب	35-33
الفصل الثالث: الصراع من زمن الانتصار إلى الهزيمة والانهيار	

المبحث الأول: معركة الأرك 591هـ/1195م	43-37
المبحث الثاني: معركة حصن العقاب 609هـ/1212م	49-43
المبحث الثالث: أسباب الهزيمة وأهم نتائجها	52-49
خاتمة	55-54
الملاحق	59-57
قائمة المصادر والمراجع	70-61
فهرس الموضوعات	73-72

تم بحمد الله